V^e ANNEE

السنة الخامسة



مجلة المغرب
الادارة والتحرير :
نهج جول بوافر
بالرباط

الاعلانات :
فرع الدار البيضاء
ج . بيكير ، 137 ،
شارع مرس سلطان
تلفون 70-03

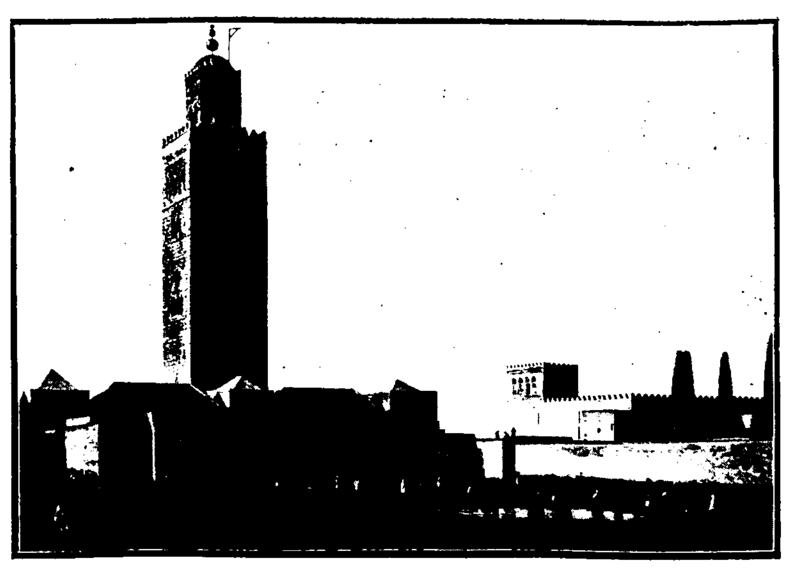
مجلة المغرب

MAJALLAT EL MAGHRIB
Rédaction et Administration
Rue Jules Poivre
RABAT

Publicité :
Agence de Casablanca
G. BECKER
137, Avenue Mers Sultan
Téléphone : 03-70

عدد خاص – مراكش الحمراء

منظر عام لعاصمة مراكش



منارة الكتبية بمراكش



قبر ابن عباد
ويرى في الصورة الاستاذ أحمد بلافريج
(أنظر المقالين ص ٧ وص ١٦)

احصاء عام

لمعاهد التعليم بمصر
سنة ١٩٣٤ الدراسية

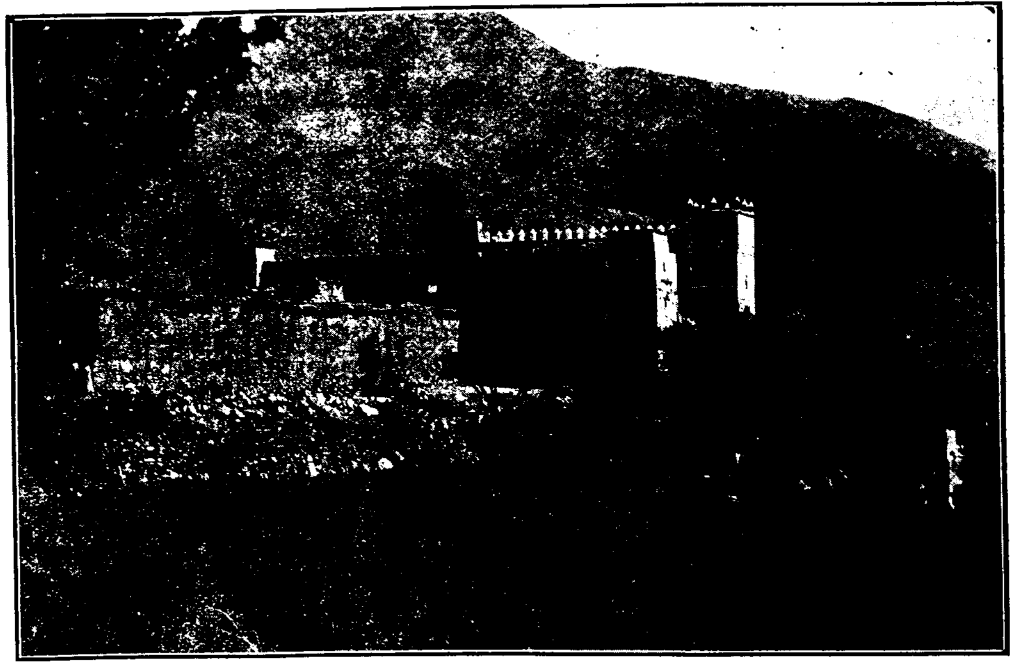
٨٤٢١ مدرسة تضم نحو ٩٥٠ الف تلميذ وتلميذة، وميزانيتها ٤ ملايين وثلاثة ارباع المليون جنية (٣٥٠ مليون فرنك)

نبذة تاريخية موجزة
عن سير التعليم بمصر

أصدرت «مصلحة الاحصاء والتعداد» احصاء عاماً لمعاهد التعليم بالقطر المصري للسنة الدراسية (١٩٣٣ ـ ١٩٣٤) وقد مهدت له بنبذة تاريخية موجزة عن سير التعليم في المملكة المصرية، وقد جاء فيها أن الحكومة في أيام الفراعنة لم تكن لها يد في التعليم، ولم تكن هناك مدارس على النحو المعروف، وانما كان الطلاب يتلقون علومهم الاولية في أفنية المعابد، أما العلوم العالية ولاسيما الدينية فكانت تدرس في حجراتها، وعلى الرغم من أن طريقة التعليم في مصر القديمة كانت مؤسسة على التقليد والمحاكاة فانهم كانوا يتعلمون الحساب على احدث طرقه.

ولما حكم البطالسة مصر اهتموا بالشئون التعليمية حتى اصبحت مهبط الطلاب من الانحاء المعمورة، تجذبهم اليها شهرة جامعة الاسكندرية ومكتبتها، وجاء العرب فأسسوا جامع عمرو ولم يلبث طويلا حتى صار معهد دينياً للتعليم ثم كثر تأسيس المساجد ولا سيما في عهد الايوبيين. (البقية على الغشاء)

قصبة بجبال مراكش





المأسوف على شبابه محمد حصار

ربيع — جمادى ١٣٥٥ السنة الخامسة — Ve Année Juin - Juillet 1936



مجلة المغرب

تثقيفية عمرانية أدبية MAJALLAT EL MAGHRIB مديرها : محمد الصالح ميسة

اشرف بقعة - وأقدس - بناحية مراكش

لفضيلة العلامة شيخ المحدثين سيدي عبد الحي الكتاني عضو المجمع العلمي العربي

لا يخفى أن مراكش ثانية مدن المغرب قدماً وحضارة وعلماً ، وموضعها من أفضل جهات القطر زراعة ومعادن ومناظر ، ولكن بالقرب من مدينة مراكش بقعة إن لم تكن أفضل بقاع تلك الارض فمن أفضل بقاعها واولاها بالاعتبار والعناية والبحث .

في فسيح مهيب واسع الخطى يضل فيه الماشي ويستوحش فيه الانيس ، يعيد على الرائي والمتأمل ذكريات بلاد العرب ان كان رآها أو قرأ عنها وصحراء أفريقية الكبرى وشاسع اطرافها ، بقعة من أقرب البقاع التاريخية الى مراكش مسافة ويكاد يجهلها الجيل الحاضر تماماً .

كانت هاته البقعة في التاريخ الغابر أشهر من «قفانبك» حيث كانت محط نظر عقبة بن نافع الفهري في وقت الفتح الاسلامي - على عهده - ومركز جيشه .

وكانت عاصمة الاسلام في المغرب اذ ذاك أو قل عاصمة المغرب الاسلامي .

بقعة كان جيشها وقائده يرجع امرهما الى عاصمة جلق ومن جلق تستمد الاوامر والنواهي وقت ما كانت دمشق عاصمة لمعاوية بن أبي سفيان ، وكانت منتهى حكم دمشق الشام ونهاية نفوذ دمشق .

هي بقعة على مسافة نحو مائة ميل من مراكش على ضفة وادي تانسيفت وكانت تعرف قديماً بمدينة نفيس .

قال أبو عبيد البكري في المسالك والممالك ص١٦٠: وهي تعرف بالبلد النفيس كثير الانهار والثمار ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظرا ، وهي قديمة أولية غزاها عقبة بن نافع صاحب (كذا) رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بها الروم ونصارى البربر وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحها وبنى بها مسجداً الى اليوم وأصابوا غنائم كثيرة وذلك سنة ٦٢ وهي اليوم آهلة عامرة بها جامع وحمام واسواق ، جامعة بينها وبين البحر مسيرة يوم ، يسكنها قبائل من البربر اكثرهم مصمودة وكان صاحبها حمزة بن جعفر الذي ينسب اليه السوق من بني عبيد الله بن ادريس اه كلام ابي عبيد البكري ، وهذا الموضع صار يعرف فيما بعد برباط شاكر ويسميه العامة اليوم في تلك الجهة «سيدي شيكر» ، وهو

شاكر بن يعلى بن واصل الرجراجي ، قال أبو العباس الناصري في الاستقصاء ص ١١٥ ج ٤ : ووقع في التشوف ان شاكر الذي ينسب اليه هذا الرباط من اصحاب عقبة ابن نافع الفهري فاتح المغرب وانه هنالك اه ، ونقل ابو علي اليوسي في المحاضرات من التشوف ايضاً أن يعلى بن مصلين الرجراجي بناه أي الرباط وكان يقاتل كفار برغواطة مرات وأن طلله هو الباقي هناك الى الآن اه .

ويعلى هذا الذي كان يقاتل برغواطة في هذه الجهة قبل ورود عقبة وبنى بها الرباط المذكور هو احد رجال رجراجة السبع الذين يذكر انهم وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه بمكة قبل الهجرة وكلمهم بلغتهم البربرية فأسلموا ورجعوا الى بلادهم وأنهم أول من ادخل الاسلام الى المغرب ، وحكاية ورودهم على الرسول عليه السلام من المغرب مذكورة في شرحي ابن مخلوف وابن الشرف التلمساني والخفاجي على الشفا وشرح أكرام السوسي على الرسالة ، وأفرد اثبات صحبتهم بالكتابة جماعة منهم شيخ الشيوخ أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغني السوسي قال : اشتهرت صحبتهم ببلاد المغرب اشتهاراً يأبى الله أن يكون باطلاً بين الخواص والعوام ، ومنهم شيوخنا الذين اعتمدنا عليهم ومنهم شيخنا حافظ المغرب العلامة أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني وغيرهم من أشراف أهل بلدة العلم منهم مفتي الحضرة الحمراء ومفسرها ومؤرخها سيدي عبد الواحد بن أحمد وكفى بها حجة اه وقد تكلم على صحبتهم معترفاً بها ابن يعقوب الولالي في مباحث الانوار وابن الطيب القادري في النشر والتقاط الدرر وأبو الربيع الحوات في الروضة المقصودة في ترجمة أبي عبد الله الجندوز المصمودي قائلاً : وقد تصدى لتصحيح عددهم ووفودهم على النبي صلى الله عليه وسلم غير واحد من الائمة الاكابر وكلهم ذكروا كلامهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتهم وعينوا مدافنهم وأسماءهم وأنهم المعروفون برجال رجراجة القاطنين ببلاد حاحة ولهم فضل مشهور يقصدهم الناس للزيارة اه ، وفي الترجمانة الكبرى للزياني : وأول من أدخل دين الاسلام للمغرب قيل انهم رجال ركراكة السبعة من المصامدة وقيل كانوا اثنى عشر رجلاً اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكلمهم باللسان البربري والصحيح أنه إنما أسلموا على يد عمر وذلك عام ١٨ من الهجرة وفي أيام عثمان أسلم مغراوة قيل وفدوا على عثمان وله عليهم الولاء الخ .

وما ذكره من اسلام مغراوة في زمن عثمان يؤيده ما ذكر ابن خلدون من أن عقبة لما وصل الى درن وقاتل المصامدة وحاصروه بدرن نهضت اليه جموع زناتة قال : وكانوا خالصين للمسلمين منذ اسلام مغراوة فافرجت المصامدة على عقبة ، انظر الاستقصاء ص ٣٨ ج ١ .

وأرى أنه لا يستبعد ورود هؤلاء المصامدة على النبي صلى الله عليه وسلم من المغرب لان ما يظن من بعد المسافة ليس له أثر هنا فهو استبعاد شخصي ورب قوم جبلوا على اقتحام الاسفار على بعد الديار فيسهل لهم من البعد في المهامه والقفار ما يظن الواحد منا اليوم اذا سمعه انه حديث خرافة ، سيما وفي صحيح مسلم عن نافع بن عنبسة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب صوف فوافوه عند اكمة فانهم لقيام ورسول الله صلى عليه وسلم قاعد قالت لي نفسي آتهم فقم بينهم لا يغتالونه قال قلت لعله نجي معهم فقمت بينهم وبينه الحديث .

وقد وجدت في شرح ابن التلمساني على الشفا وهو

(التتمة على صحيفة ١٨)

العصر الذهبي لمدينة مراكش

المجالس الشورية ـ المدارس العلمية ـ المستشفيات الطبية

للعلامة المؤرخ فضيلة القاضي سيدي عبد الحفيظ الفاسي

لما عزم الاستاذ الكاتب الاجتماعي الشهير صاحب «مجلة المغرب» على اصدار عدد خاص من المجلة حول مدينة مراكش وتاريخها احتفالا بمرور تسعة قرون على تاسيسها طلب مني مع غيري ان نشاركه بكتابة في الموضوع ونحن اذا قمنا بذلك رغماً عن القائنا القلم الصحافي منذ مدة فلان الواجب العلمي يقضي علينا بذلك ولانه مشروع جليل مفيد حيث ان مدينة مراكش جديرة بهذه الذكرى فهي ذات مجد عريق وتاريخ ذهبي حافل وغني بالحوادث الجليلة وملوكها الذين اتخذوها كرسياً لملكتهم كانوا من اعظم ملوك المغرب قدراً واسماهم فخراً وابعدهم شهرة وذكرا حتى أن الدولة المغربية كلها صارت تسمى باسمها، وذلك ان الدول الاوربية ما عرفت الدولة المغربية الا عند ما اجتاز امير المؤمنين يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش الى الاندلس فاتحاً ومنقذاً فلما قاتل الاسبان وانتصر على الفونس السادس ملك قشتالة في واقعة الزلاقة ذلك الانتصار العظيم المعروف في التاريخ وصارت الجيوش تبعث من مراكش والاوامر تصدر منها والسفراء ترد عليها صار يطلق على الدولة المغربية اسم الدولة المراكشية.

وقد كادت شهرة مدينة مراكش تقضي على شهرة مدينة فاس ومجدها بسبب تحول كرسي المملكة اليها زمن الدولتين المتونية والموحدية، لولا انها استعادت مكانتها عند قيام الدولة المرينية العظيمة التي ردت اليها كرسي المملكة فتجددت حضارتها واستبحر عمرانها وتكاثرت مدارسها ومستشفياتها وترقت معارفها وتنوعت علومها وظهرت مواهب عقول اهلها من علمائها وادبائها وصناعها.

واني ارى الواجب لا يقضي على كتاب المغرب وادبائه بمساعدة صاحب المجلة في مشروعه فحسب، بل يقضي عليهم باظهار ما لديهم من الذخائر النفيسة حول هذه المدينة أو مالهم انفسهم من المؤلفات والابحاث القيمة فيما يرجع الى تاريخها كما فعل قاضيها صديقنا العلامة البحاثة أبو الفضل السيد عباس بن ابراهيم الشهير فقد شرع الآن في طبع تاريخه العجيب المسمى بالاعلام بمن حل اغمات ومراكش من الاعلام.

أما نحن فسنكتفي في هذا المقال بالكلام على ثلاث مسائل نعدها من أعظم مفاخر تاريخ هذه المدينة. نعم سنتكلم على تأسيس المجالس الشورية والمدارس العلمية والمستشفيات الطبية انما كان أولا بمدينة مراكش أو على يد ملوك مراكش زمن الدولتين المشار اليهما آنفا وسنعرض هذا الموضوع الذي اشرنا اليه بصورة مختصرة بسيطة بعيدة عن التخيلات الشعرية التي لا تظهر معها الحقيقة في الكتابة العلمية النثرية، وما دمنا قد رسمنا لانفسنا هذه الخطة فلنتحول عنها الى المقصود فنقول:

١) أول مجلس شوري الف في المغرب كان بمدينة مراكش ومنها عم سائر المغرب، ولست أعني أن مجلس الشورى كان مثل ما يسمى اليوم في الممالك الدستورية بمجلس النواب، بل نعني أن قضاة الدولة اللمتونية الذين كانت تسند اليهم كافة الاحكام كان يشترط عليهم الا يصدروا حكما الا بعد مشورة الفقهاء المعينين معهم للشورى بحيث ان القضاة انما كانوا منفذين لما يقرره اولئك الأئمة وكانوا عادة اربعة، ولم يكن الامر مقتصراً على القضاة بل كان السلطان نفسه لا يفعل امراً الا بعد مشورة الفقهاء وموافقتهم وكان بالطبع أن اولئك القضاة

أو أعضاء مجلس الشورى كانوا من المتضلعين في العلوم الشرعية ليمكن لهم ان يحكموا بين الامة ويشيروا على الحكومة في كافة ما يعرض لهما من امور الدين والدنيا ضرورة أن الشريعة الاسلامية جاءت كفيلة بما فيه صالح البشر وسعادتهم وغنية بتعاليمها وأصول تشريعها عن القوانين والشرائع الوضعية ، ويكفي في معرفة فقهاء الدولة اللمتونية الذين كان يولى منهم القضاة واعضاء مجلس الشورى أن كان منهم الائمة أبو الوليد ابن رشد وأبو بكر بن العربي وأبو الفضل عياض وامثالهم وكفى بمن ذكر فخرا .

٢) أول مدرسة داخلية أسست في المغرب كانت على يد يوسف بن تاشفين وانما قلنا داخلية ليلا تشمل الاولية جامع القرويين بفاس فقد كان منذ أسس والعلوم الاسلامية تدرس فيه ضرورة أن المساجد في الصدر الاول كانت معدة للعبادة والقاء الدروس الاسلامية بل ونوادي للتداول في الماجريات السياسية ، لكننا لا ندعي أن مسجد القرويين كان قبل ذلك كلية أو جامعة علمية تلقى فيها كافة العلوم حتى الفلسفية اذ لم نقف على ما يفيد ذلك أو يستانس به بل ان العلوم الفلسفية وحتى الكلامية لم تكن معروفة بالمغرب قبل الدولة الموحدية ، ولم يعرفنا التاريخ أين كان سكنى طلبة القرويين قبل أن يؤسس يوسف بن تاشفين مدرسته التي نحن بصدد الكلام عليها وهي مدرسة الصابرين بفاس التي لم يبق منها الى اليوم الا اطلالها وموضعها بباب الجيزيين المعروفة اليوم بالباب الحمراء في مجاورة روضة الانوار المعروفة بروضة أبي مدين وتقابل بانحراف من جهة اليمين مقبرة موسى بن أبي العافية ، ذكر هذه المدرسة أبو محمد عبد السلام بن الخياط القادري في تاريخه وفي تحفته وأشار اليها أبو عبد الله ابن جعفر الكتاني في سلوته .

٣) أول مستشفى نظامي اسس بالمغرب كان بمدينة مراكش زمن الدولة الموحدية وقد كانت مستشفياتها من أعظم مصانعها التي تفتخر بها فاننا اذا قابلنا ما ذكره مؤرخوها كصاحب المعجب في وصف مستشفياتها مع ما ذكره مؤرخو ذلك التاريخ في وصف مستسفيات الدول المعاصرة لها نجد مستشفى مراكش قد فاق غيره من مستشفيات بغداد وغيرها من العواصم الاسلامية لما كان عليه من الزخرفة والاتقان وما كان يلقاه المريض من الاعتناء وما يجد من أسباب الراحة وما كان فيها من توفر الادوية وتعدد الصيادلة والكيماويين البارعين والاطباء الماهرين ناهيك باطباء الاندلس وفلاسفتها الذين كانوا زينة الدولة الموحدية وجواهر تيجانها بل كان يوسف بن عبد المومن وولده يعقوب المنصور من أعظم فلاسفة عصرهما ولهما نظريات فلسفية غريبة كما يوخذ من كتاب فلاسفة الاسلام .

هذا ما عنَّ لنا كتبه في المواضيع التي اخترناها ملخصاً ذلك من كتابي في فلسفة تاريخ دول المغرب ، ولنترك المجال لغيرنا والله الموفق الهادي .

عبد الحفيظ الفاسي

رئيس الحماية الجديد

عينت الجمهورية الفرنسية الفخيمة جناب ولي المستعمرات العام م. مرسيل بيروتون نائب فرنسا بالقطر التونسي الشقيق مقيما عاماً بالمغرب بدلا من جناب المقيم العام م. هنري بونصو الذي عين سفيراً بتركيا ، «فمجلة المغرب» تدعو لفخامة المقيم السابق بالخير والعافية في وظيفه الجديد وتحفظ لعقيلته المحسنة ، العاملة ، الذكر الدائم ، وترحب بفخامة المقيم م. بيروتون ترحيباً جما .

ويستفاد من خطاب ألقاه فخامة المقيم العام أخيراً أن جنابه أوعز للمصالح الادارية بدرس مسألة الترتيب بقصد ابطاله والاستعاضة عنه باداءات اخرى ، كما أن جنابه ينوي تكوين ملك الفلاح لا يمكن تفويته مع ما يلزم من ماشية للحرث وايضاً الادوات الفلاحية وقوت الفلاح واسرته ، وقد تقبل المغرب خبر هذين الاصلاحين بغاية الارتياح شاكراً لفخامة المقيم عنايته وحزمه .

مراكش الحمراء

نظرة عامة ــ ماضي مراكش وحاضرها
ــ اصلاح بعض اخطاء متداولة في شأن بعض آثارها ــ
بقلم شاعر مراكش المجيد سيدي احمد بوستة

إن مدينة مراكش الحمراء عاصمة الجنوب وخراسان المغرب منذ أسسها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤ واتخذها دار ملكه بقيت من ذلك الحين عاصمة للمغرب والاندلس مدة حكم المرابطين والموحدين المنتقل اليهم ملك العدوتين بعدهم ، وكتب التاريخ طافحة بما كان لهاتين الدولتين من الصولة والجاه من أقاصي حدود المغرب شرقًا وجنوبًا أو ما يعبر عنه اليوم بافريقيا الشمالية الى أقاصي شمال بلاد الاندلس ، وغير خاف ما اشتملت عليه هاته المملكة من الاقطار الشاسعة والاطراف المترامية ، ومن ألقى نظرة على ما ازدهت وازدهرت به هاته المملكة من علم وحضارة وما انجبت مدنها وقبائلها من نجباء الملوك والامراء وفطاحل العلماء وفحول الصناع والفنانين والاقطاب في كل ناحية من نواحي الاجتماع والعمران ادرك بطبيعة الحال ما قدكان من الاهمية للمدينة الحمراء بصفة كونها قلب هاته المملكة ومقر ملوكها واليها يحج أعيانها وعظماؤها ومنها تصدر الاوامر والنواهي الى سائر الجهات حتى سمي المغرب من ذلك الحين في عرف أمم العالم (مراكش Maroc) وكم هاجر اليها من علماء وفلاسفة وكم خلد فيها الملوك من معالم ومشاهد لا زالت قائمة العين والأثر ، ناهيك بقصورها الفخمة ومساجدها العظيمة ومناراتها الناطحات السحاب ومدارسها الشامخة البنيان البديعة الصنع واسواقها المتسقة الدالة على ما كان لاهل تلك العصور الغابرة من ترتيب وتنسيق واحيائها المتباعدة المستغني كل منها عن الاخر الى مزارعها الخصبة ومتاجرها الرائجة الرابحة ومصانعها الجيدة الاتقان القائمة بحاجيات نحو الثلاثة ملايين من سكان المغرب المحيطين بها الى غير ذلك من الامور التي تجعل مراكش الحمراء أو بهجة لمتون في مصاف المدن الكبيرة التي يحتاج اليها غيرها ولا تحتاج هي الى الغير .

ومعلوم أن المدن بطبيعة العمران تنشأ صغيرة ثم تنمو وتكبر بمرور الازمان وتعاقب السنين اذا كانت فيها قابلية للتعمير والخلود والا فكم من مدينة اسست واعتز بها اهلها واعتزت هي بهم فانقرضت بانقراضهم ولم يبق إلا ذكرها ، ومدينة مراكش من القبيل الاول فلها من العمر تسعة قرون ولم يزدها تقادم الدهر إلا عزةً واعجاباً بها ، فقد أسسها يوسف بن تاشفين في أواسط القرن الخامس الهجري وكانت طالع سعده حيث عبر منها اثر بنائها الى عدوة الاندلس وضم تلك المملكة العريضة الى ملكه بالمغرب وبعد وفاته واقباره بها خلفه ابنه علي بن يوسف بن تاشفين وفي عصره ازدهر ملك المتونيين وتمكن نفوذهم في العدوتين حيث صارتا مملكة واحدة عاصمتها مراكش الحمراء فازداد علي بن يوسف اهتبالاً بها فأدار سورها وبنى مسجدها الاعظم المعروف بمسجد ابن يوسف وانفق على السور نحو السبعين الف دينار ذهباً وعلى المسجد نحو الستين الفا على ذكر بعض المؤرخين ، ثم ملك المغرب بعد اللمتونيين الموحدون بنو عبد المومن فكان لمراكش في زمنهم شأن عظيم ومكانة عالية ، في الصحيفة ١٢٤ من الجزء الثاني من نفح الطيب : « ان حضرة مراكش هي بغداد المغرب وهي أعظم ما في بر العدوتين واكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت في مدة بني عبد المومن وكانوا يجلبون اليها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك

مشهور ومعلوم الى الآن ومدينة تونس انتقلت اليها السعادة التي كانت في مراكش بسلطان افريقيا أبي زكرياء » فغرس عبد المومن بستان المسرة (اكدال) خارج مراكش وكان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب من ذلك فيه كل فاكهة تشتهيها الانفس وجلب اليه الماء من اغمات ثم استنبط له عيوناً كثيرة وكان يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين الف دينار مومنية على رخص الفواكه بمراكش ولم تزل من ذلك الحين عنايات الملوك تتعاقب على هذا البستان الى وقتنا هذا بتقسيمه وتنسيق أجزائه وتوسيع برك سقيه حتى صيروها شبه بحيرات تجري فيها القوارب والفلك للنزهة والتسلية وسموا منتزهاته باسماء اندلسية كالزهراء والصالحة والزاهرية والسعادة والغرسية ودار الهناء ، وآخر القصور المشيدة فيه قصر « الدار البيضاء » الذي شيده أخيراً السلطان المقدس مولانا الحسن العلوي ، ولو لم يبق دليل على عظمة مراكش غير هذا البستان الهائل لكفى .

وكان لواسطة عقد الموحدين يعقوب المنصور ولع شديد بمراكش فاحتفل بتشييدها وبالغ في تنميق مساجدها وتنجيد مصانعها ومعاهدها ولما عزم على المسير الى الاندلس أوصى نوابه ببناء قصبة مراكش والاعتناء بتشييد قصورها ، ومن آثاره الباقية بها الى الآن الباب المعروف بباب أكناو ولا مزيد على ضخامته وارتفاعه وتركيب احجاره المنقوشة نقشاً بديعاً وأمرهم ببناء الجامع الاعظم بها المنسوب اليه الى اليوم وتشييد مناره ومنار جامع الكتبيين المضروب به المثل في الارتفاع وعظم الهيكل ، وقد صنع لهذين المسجدين مسجد المنصور ومسجد الكتبيين منبران بالاندلس في غاية الاتقان من عود الصندل الاحمر وصفائح الذهب والفضة مطعم بقطع دقيقة من الصدف ومنبر مسجد الكتبيين لا زال قائم الذات الى الآن وبه بعض آثار هاته الاوصاف ، واتخذ المنصور مقصورة لمصلاه بجامع القصبة بشكل هندسي عجيب بحيث أنها تخرج عند وصوله مع حاشيته اليها وتختفي في الارض والحائط اذا خرجوا وفيها قال بعض الادباء :

طوراً تكون بمن حوته محيطة
فكأنها سور من الاسوار
وتكون حيناً عنهم مخبوءة
فكأنها سر من الاسرار
وكأنها علمت مقادير الورى
فتعرفت لهم على مقدار
فإذا أحست بالامام يزورها
في قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده
كتكون الهالات للاقمار

وتولى الملك بعد الموحدين المرينيون وهؤلاء وإن اتخذوا فاساً عاصمة ملكهم لم يغفلوا أمر مراكش بل خلفوا فيها آثاراً تذكر فتشكر وأجلها المدرسة العظيمة المجاورة لمسجد ابن يوسف ويسميها النـاس مدرسة ابن يوسف ظانين أن بانيها هو علي بن يوسف بن تاشفين باني المسجد والحقيقة أن مؤسسها هو السلطان أبو الحسن المريني ولا زالت هذه المدرسة آية شاهدة في فن الزخرفة والنقش والتخريم سواء على الخشب أو الزليج أو الرخام وهي برهان قائم على ما كان للعلم ودراسته من اهتمام ومكانة في هذه المدينة السعيدة ، وهذه المدرسة الى الآن وحتى الآن هي الاولى في العمارة وإيواء الطلبة الواردين من الجهات لتلقي العلوم بمراكش لمجاورتها لجامع ابن يوسف الاعظم المعد للتدريس كالقرويين .

وبعد انقراض المرينيين قام بالامر بعدهم الملوك

السعديون ، جعلوا مراكش عاصمة لهم وأدركت في عصرهم شأواً عظيماً فقد انشأ السلطان الغـالب بالله في عشرة السبعين وتسعمائة جامع الاشراف الكبير بحومة المواسين والسقاية المتصلة به التي كان عليها مدار المدينة وبنى المارستان للمجانين الكائن بباب الطالعة ووقف عليه أوقافاً عظيمة وقد صار فيما بعد سجناً للنساء ثم صار الآن تجهز فيه أموات الفقراء ، وأنشأت مسعودة الوزكيتية والدة المنصور الذهبي مسجد باب دكالة الكبير وجعلته في صورته وشكله كمسجد المواسين ، وفي أيام السعديين اسس المسجد الاعظم بحومة ابن صالح ومدرسته الكبيرة ومناره العجيب الشكل الذي لم يُر مثله المطعم بالزليج الاخضر المركب بالمسامير بحيث يزال ويرد بدون حفر ولا تقليع ؛ وذكر صاحب النزهة ان السلطان عبد الله السعدي ابتنى الجامع الكبير الكائن بجوار أبي العباس السبتي وشيد مناره وشحن الخزانة التي بقبلي الجامع المذكور بنفائس الدفاتر وأهم آثار الملوك السعديين بمراكش هو قصر البديع الذي بناه السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي فقد سارت بذكره الركبان وروى حديثه فلان عن فلان وكان ابتداء الشروع في تأسيسه في شوال خامس الاشهر من خلافته سنة ٩٨٦ واتصل العمل فيه الى سنة ١٠٠٢ لم يتخلل ذلك فترة وحشد له الصناع من بلاد الافرنج فكان يجتمع كل يوم فيه من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم وهو عبارة عن دار مربعة الشكل محتوية على الكثير من القباب والقصور وبه من الرخام والمرمر والزليج الملون ما يبهر العقول وفي حيطانه وسقوفه من الجبص المخرم المموه بالذهب والفضة ما يسحر الالباب ومما قالوا فيه :

كل قصر بعد البديع يذم
فيه طاب المجنى وطاب المشم
منظر رائق ومـاء نمير
وثرىً عاطر وقصر أشم
إن مراكشاً به قد تباهت
مفخراً فهي للعلا الدهر تسمو

ونقش في داخل قبابه وحيطانه من الاشعار الدقيقة لادباء عصره ما يجل عن الوصف ومن شاء امتاع ناظره من ذلك فليراجع الجزء الثالث من الاستقصا ، ومن آثار السعديين الباقية الى الآن الدالة على عظمتهم مقبرة ملوكهم وعائلتهم الكائنة قرب مسجد المنصور بالقصبة التي كل من زارها يقف مندهشاً لما فات لهؤلاء الملوك من العناية وعلو الهمة كما يستدل في وقت واحد على ما كان بمراكش الحمراء من رفعة الشأن من الصنائع التي هي عنوان التمدن والحضارة وغالب ملوك السعديين وأولادهم وبناتهم مدفونون بهذه المقبرة وكل قبر مغطى برخامة محدودبة منقوش عليها بخط جميل اسم صاحبه وتاريخ وفاته وبعض أبيات شعرية في رثائه أو في موعظة الموت .

(البقية في العدد)

على ذكر مراكش

هل في هذه البلاد بلدة كان لها من العظمة والشان ما كان لمدينة مراكش ؟ ألم تكن عاصمة لمملكة امتدت شرقاً الى طرابلس وشمالا الى جبال البرينية ، ألم تكن قاعدة المغرب في أعز ايامه فكانت دار علم وصلاح وبأس شديد تخرج منها الجنود الظافرة وتتلاقى فيهـا الوفود العالمة المفكرة .

وأين الحاضر من الماضي ؟ فمراكش الآن مثل الحسناء العجوز ليس لها الا التغني بماضيها ، فقدت كل شيء

وصار من الصعب ان نطلق عليها حتى لفظ المدينة ، فما هي الا قرية ضخمة ممتدة في بسيط احمر من الارض .

القوافل والمواشي تتخلل شوارعها فتزاحم الادميين وتتجمع فيها الوان الحياة المغربية في رفاهيتها وبؤسها واختلاف اجناسها ولهجاتها ، أهلها الفوا الظلم والاستعباد حتى صاروا يستغربون اعمال العدل والاحسان ، والفوا القحط والمسغبة حتى اخذوا يستغربون نزول المطر في ابانه وجود الارض بخيراتها على الفلاح العامل ، تربتها من اطيب تراب هذه البلاد ومن اقلها انتاجاً ، هواؤها نقي لطيف منعش وجوها تام الصفاء يبهج الفؤاد ويشرحه ولكن طول الاقامة فيها تتعب الجسم وتنهكه .

تلك مراكش جمعت من المتناقضات ما لست احصيه عدا .

والحقيقة ان مراكش لا ترتبط في ذهني بصورة من صورها الحقيقية بل هي دوماً عندي تلك البلدة البعيدة ـ مع اني ذهبت اليها قريباً ورجعت في نفس النهار ـ فهي باب الصحراء ومرحلة من مراحل التاريخ فاذا ذُكرت انما تنبه في نفسي اسم رجلين بينهما من التباين ما بين مراكش اليوم ومراكش الامس هما المعتمد ابن عباد والمهدي ابن تومرت .

ولست ادري ما سبب هذا الارتباط في ذهني بين الرجلين من جهة وبينهما ومراكش من جهة اخرى ، كلاهما ليس من مراكش : احدهما اندلسي صميم بلطفه وأدبه ورقته والاخر بربري جبلي بتقشفه وشدته ودهائه ، قد يكون ذلك لان احدهما قهرته مراكش والاخر قهرها فأخذ احدهما بثار صاحبه عن غير تعمد .

فلما زرت مراكش لاول مرة سعيت في زيارة مدفنها ، أما قبر ابن تومرت فهو مشهور في قرية تنمل بكندافة يتصل بمراكش بطريق معبدة وان كانت شديدة الالتواء مارة في سفح هضاب عالية ، وأما قبر المعتمد فهو في اغمات ولكن أين من يعرف اغمات ؟ المشتغلون بالكتب يعلمون ما كان لها من الجاه ولكن لا يبلغ بهم حب الاستطلاع الى البحث عنها وزيارة معالمها .

ذهبت لنقابة السياحة سائلا فرجعت خائبا لان القائم بأمر المكتب لم يسبق له سمع هذا اللفظ وهو غير مرسوم في خريطة الضواحي المراكشية التي ينصح للسواح بزيارتها عادة .

في النهاية ارشدنا احد الاخوان سبقت له زيارة اغمات في صحبة صديقنا دي رباراز المستشرق الاسباني احد المولعين والمعجبين بالمعتمد .

خرجنا من مراكش بعد الظهر في اشد حرارة النهار وما بعدنا عن المدينة ببضع كيلو مترات حتى خرجنا من الطريق المرصفة واندفعنا في طريق لم تمسسها يد الانسان بعد ، ذات اخضرار بهيج متفجرة بالمياه من كل جانب ، وما هي الا مسافة حتى خرجنا في واد يشق الارض ويفصلها مياهه متكاثرة ثائرة اذ الفصل فصل الربيع حيث تذوب الثلوج وتنتعش الاودية والانهار ، فما زلت أتذكر بكل لذة رسوب عجلات السيارة في اوحال الوادي ونزولنا وسط الماء لدفع السيارة ومساعدة محركها .

وكانت حرارة النهار تلطفت وعذب نسيم العشي وتوغلنا في منظر هو من اجمل المناظر الطبيعية فكان الافق امامنا كله ، محدود بسلسلة من الجبال العالية تتوجها الثلوج البيضاء وتنعكس عليها اشعة شمس الغروب الخافتة فتصطبغ بمختلف الالوان من بنفسجي الى وردي الى مخضر وكان ذلك النسيم الدافيء يهب فيبعث في نفوسنا انشراحاً ونشاطا .

فما وصلنا لقرية اغمات أوريكة الا عند الغروب ،

واغمات اليوم انما هي قرية فقيرة فيها بعض مساكن الرعاة والفلاحين وهناك خارج القرية في سفح ذلك الجبل العظيم حوش متهدم في وسطه كدية من الاحجار قالوا هي قبر المعتمد واخرى بجانبها قالوا هي قبر الروميكية زوجه.

ولعل الاخوين طارو الكاتبين الافرنسيين يصدقان عند قولهما : « ان قبر المعتمد هو كل هذا المكان الجميل ، هو هذه الاشجار المخضرّة ، هو هذه المياه الجارية ، هو هذه الشمس المحرقة ، هو هذه الظلال الكثيفة ، هو تلك الثلوج التي نراها تبرق عن بعد ، هو ذلك الشيء الذي لا يوصف ويبعث في النفس لذة ويفصلها عن هذا العالم الفاني ، هو ذلك النسيم الذي استنشقته ذلك الصباح في هذا المكان الفردوسي . »

عجباً لقساوة الزمان في معاملة هذا الملك الشاعر ! فمن يصدق ان المعتمد مات ودفنوا جنازته على انها جنازة غريب .

وأي رثاء يرثى به احسن من هذه الابيات التي تركها لتكتب على قبره :

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي
حقاً ظفرت باشلاء ابن عباد
بالحلم بالعلم بالنعمى اذا اتصلت
بالخصب ان اجدبوا بالري للصادي
بالطاعن الضارب الرامي اذا اقتتلوا
بالموت احمر بالضرغامة العادي
نعم هو الحق وافاني به القدر
من السماء فوافاني لميعادي
ولم اكن قبل ذاك النعش اعلمه
ان الجبال تهادى فوق اعوادي
كفاك فارفق بما استودعت من كرم
رواك كل قطوب البرق رعاد
يبكي اخاه الذي غيبت وابله
تحت الصفيح بدمع رائح غادي
حتى يجودك دمع الطل منهمر
من اعين الزهر لم تبخل باسعاد
ولا تزل صلوات الله دائمة
على دفينك لا تحصى بتعداد

فمتى تقيم مراكش موسم المعتمد ؟ ومتى ترضيه ميتاً بعد ما اغضبته حيا ؟ ومتى نلبي ارادته ؟ أ. ب.

المنصور الذهبي

للمؤرخ المحقق سيدي محمد بن عثمان الاستاذ بالكليه اليوسفية

إنه لمن دواعي السرور والاغتباط أن تتاح الفرصة لاحياء ذكرى المائة التاسعة لعاصمة العلم والفخار مراكش الحمراء ، وأن تكون تلك الذكرى الخالدة من ابتكارات «مجلة المغرب» التي نشكرها على هذه الذكرى السعيدة التي سمحت لي بالمشاركة في احياء بعض تراثها حسب ما تسمح به الظروف وتقضي به الحاجة .

ويزداد اغتباطي بتخصيص الكتابة في عظيم من الافراد الذين أنجبتهم الحمراء ورفعت في سماء المجد مكانتهم فكونت منهم ذالك العلم المفرد الذي منحته التأييد فبدا منصوراً في أعماله موفقاً في آرائه .

ذلكم الرجل الفذ والعلم الشامخ هو أبو العباس أحمد ابن الشريف محمد الشيخ الشريف السعدي الملقب بالذهبي الذي كان تاجاً ذهبياً على هامة الدهر ومثالاً فخماً للامارة الاسلامية في المغرب الاقصى تلكم الشخصية المجيدة وذلكم

العبقري العظيم هو الذي احبر في حياته هذه العجالة لان الاطناب في الاشادة بما حفلت به حياته وما امتازت به شخصيته في مختلف النواحي مما لايعد ميسوراً في كلمة مختصرة كهذه .

على أنني لا أترك كلمتي هذه خالية من دراسة بعض النواحي المنصورية التي تعد بحق غرة في جبين الدهر مما يستحق الافراد بالتأليف كنشأته وثقافته وادارته وفتحه وبراعته الفنية في انشاء العمائر وابتكار الفنون الجميلة ومكانته الادبية مما يمكن ايجازه من تلك الحياة المفعمة بجلائل الاعمال ومهمات الامور .

نشأته : نشأ المنصور من أبوين كريمين من الاسرة المالكة لعرش المغرب الاقصى في المائة العاشرة للتاريخ الهجري، وكان ملحوظاً بعين الرعاية والاعتبار من لدن أبويه العظيمين الذين تناولته رعايتهما بالتهذيب حتى كونا منه ذلك الرمز الكامل للمثل العليا ، كان أبوه محمد الشيخ صاحب عرش المملكة المراكشية والقابض على زمام أمرها في عزة وسلطان ، وكانت أمه الجليلة السيدة مسعودة صاحبة اريكة العز والفخار في الحضرة العلية حيث تبوأت مكانة سامية في قلوب المراكشيين بما قدمته لهم من معروف واحسان وما شيدته من مؤسسات خيرية كبرى يعد من أفخرها مسجدها الكبير الذي شيدت مبانيه في أطراف عاصمة ملكها الحمراء وخصصت له من الاوقاف الخيرية الكبيرة ما يشهد لتلك المحسنة الجليلة بعظمة برها واحسانها مما يستوجب لها بحق أن تدعى - بام المحسنين - في عصرها الزاهر بما أسدته لشعبها الشكور من احسان .

فلا غرو اذا غذي المنصور من تلك الروح الطاهرة وتلك المبادئ الانسانية بانواع المحاسن وضروب الكمال ، مما يبين للناس أن ما سطر في تاريخ المنصور من العظمة ورثه عن الاباء ليخلده ذكرى للاحفاد وقبساً منيراً للاجيال، فلئن كان عظيماً في قومه فقد كان عظيماً أباً وأماً من ارومة عدنانية امتزجت أغصانها بتلك الاريحية القرشية فكونت المنصور مكيناً في قومه قويا في ارادته وثابا في عزماته زهياً في أيامه الزاهرة التي بسمت له في عصر كان جوه عابساً تهدده اخطار الطامعين من كل حدب وصوب .

ولد المنصور في العاصمة الادريسية سنة ٩٥٦ وشب في عفاف ورزانة تملأ قلبه عظمة اليقين بايام هنية تفتر له عن حياة ملئت جوانبها بعظائم الامور .

يظهر طفلاً في رزانة الكهول ميالا للتعاظم بطبعه منذ فطرته الاولى تتجلى في صفاته أخلاق الملوك منذ نعومة اظفاره ، يتيه في ريعان الشباب بخيلاء العزة وشمم الهمة ، تحوطه رعاية الملك وترمقه عين الخلافة مذ كان يافعاً إلى أن تبوأ أريكة عرش المملكة المغربية فهو مكين في قومه عظيم في نشأته متواضع في خلافته صائب في نظراته لا تغره زخرفة القول ولا يركن لمبالغة المتسجدين يزن الرجال باعمالها ويقدر العاملين بآثارهم ، تلك كانت اوصافه الاخلاقية في خلافته وشبابه وذلك ما أطنب في الاشادة بذكره الباحثون في حياته وإن كان المؤرخون لم يهملوا صفته الخلقية من سعة المنكبين وامتلاء الخدين و ...... مما يستطيع معه الرسام بريشته او المثال الفني بنحته أن يخلق له صورة تتفق ملامحها مع تلك الصورة الحقيقية حسب ما رقم في وصفه الكاتبون .

ثقافته : كان أبوه يتعهده في جميع أطواره الانشائية ليجعل منه ذلك العبقري الذي تهتدي بآرائه الصائبة أرجاء المغرب الاقصى وينشئه كما شاءت همة الملوك ان تكون اشبالهم الابية ، لذلك خصص له مربي أولاد الملوك الاستاذ أبا عبدالله محمد بن يوسف الدرعي المراكشي

ليتولى تربيته على وفق ما تقتضيه التقاليد المغربية ، فكان أول ما بدأ به حياته العلمية حفظ كتاب الله العظيم وذلك أعظم ما يقدمه ملك موفق لنجل يراد منه التوفيق ، شرع في حفظ كتاب الله وشاءت الاقدار الالهية أن يتمم تلك المهمة العظيمة من حفظ القرآن واستظهاره وتجويده على يد استاذه ابي عبد الله ، وقديماً كان حفظ القرآن سنة امراء المغرب الاقصى حتى في هذا العصر الزاهر عصر العلم والمدنية .

فلئن كان المنصور قد حفظ القرآن في رعاية ابيه في المائة العاشرة فولي عهد المملكة المغربية المحبوب أمير الاطلس مولانا الحسن قد احتفل جلالة والده المعظم في هذا العهد بشروع شبله العزيز في حفظ القرآن في عصر العلم والمدنية ولعمري ان ذلك مظهر رائع من المظاهر الكريمة التي تضم صفحة ذهبية اخرى الى الصحف العظيمة التي خلدها التاريخ لجلالة ملكنا المعظم أيده الله وخلد ملكه وأقر بامير الاطلس عينه ، وحفظ القرآن لاولاد الملوك عادة شرقية شريفة المبدإ سامية الغاية يرجى من ورائها توحيد الثقافة بين الامراء وافراد الشعوب ورضي الله عن القائل[1] : « لقد آن أن يفهم الغافلون أن الامة التي يحفظ أطفالها القرآن هي أهدى من أمثال الامة التي يحفظ اطفالها اقاصيص لافونتين » مرحى لها كلمة صادفت الاستحسان من وراء البحار .

تلك كانت نشأة المنصور وذلك كان مبدأ حياته العلمية ثم شرع يقتطف من المعارف ما تطمح له همم الملوك العلية فوجه عنايته الخاصة للمبادئ العربية التي تعتبر كسلم يرتقي به التفكير إلى فهم كلام العرب وما حبره الشيوخ وجمعه المؤلفون من معارف فاتخذ لذلك الاستاذ ابا العباس القدومي وبعد أن برع في النحو أتبعه باصول الدين على أبي العباس المنجور والفقه على أبي الربيع سليمان وقرأ الرسالة على الاستاذ ابي عمران موسى المراكشي الروداني وتاقت نفسه الى العلوم الرياضية — ولا أقصد الرياضة في الاسلام وإنما أقصد الرياضة حسب الاصطلاح المحفوظ — فأخذ الحساب على أبي محمد عبد العزيز المراكشي وبرع فيه وفي الهندسة وألم ببقية العلوم الرياضية وسمع علوم البلاغة والعروض وكافية ابن الحاجب والشمسية في المنطق وقرأ الاصول ثم أخذ الكتب الستة على الشيخ رضوان بن عبد الله والشيخ ابي عبد الله محمد بن علي ، وأخذ التفسير والحديث والكلام على شقرون بن هيبة الله الوهراني وأخذ عن غير اولائك الشيوخ كالحميدي شيخ معهد فاس حتى جمع في ثقافته العلوم التي تروج اذ ذاك بالمدرسة المغربية وأحسن الاساليب التعلمية التى كان يتبعها الشيوخ وقتئذ في اذكاء ملكة الفنون العلمية وقد بلغ النهاية في سائر العلوم بنباهة فائقة وفهم ثاقب وقد استعمل ذكاءه الوقاد في ايضاح مشاكل كتاب اقليدس في الهندسة وكان مما يستصعبه الشيوخ بما اوتيه من ذكاء وفطنة .

وقد رأى كثرة الشيوخ وعلو الاسناد وأخذ الاجازات وتتبع الفهارس والاستيناس بكل ماله علاقة بفنون الحديث وعلوم التفسير مما تستوجبه التقاليد المرعية حيث أن المدرسة القديمة تباهي بذلك وترى في الاجازة اعترافاً من موقعها بمكانة المستجيز من الوجهة العلمية كشهادة يقدمها الشيخ لتلميذه بصحة مروياته لذلك بعث المنصور يستجيز علماء مصر القاهرة ليتصل سنده بسند الكنانة حرسها الله وتتقوى مروياته بروح المشارقة التي تشد عضده العلمي وبكل رعاية أجازه الاستاذ ابو عبد الله محمد بن يحي القرافي اجازة عامة بسط القول فيها وكذلك أجازه الاستاذ أبو عبد الله محمد البكري المصري إجازة تتفق مع مكانة

(١) القائل هو الاستاذ زكي مبارك في مقدمة المدائح النبوية ص ١٣ .

المنصور وقد حلى صاحب الاستقصاء تاريخه بفقرات منها ص ٥٥ ج ٣ ، وقد كان المنصور مولعاً بالكتب الادبية ودراستها دراسة خاصة وقد برع في تلك الفنون براعة تامة وعني بالتأليف عناية خاصة وله تقاييد مفيدة على التفسير وكتاب في السياسة وغير ذلك وقد نشطت حركة التاليف في عصره نشاطاً كبيراً امتثالا لاوامره لاصحاب الاقلام بالجمع والتاليف في مختلف العلوم .

مهارته الادارية في عهد خلافته : حقاً كان المنصور الذهبي من نوادر الدهر الذين احتفظوا بتلك الشخصية التاريخية الممتازة في حياتها بما يضن به الدهر على كثير من العظماء لانه ان كان سياسياً ماهراً وقائداً عظيماً وشجاعاً قوياً فقد كان كذلك رجلاً إدارياً عظيماً زودته الايام بمخبآتها وحنكته الظروف بتجاريبها فابرزت من ذلك الاداري المرن الذي بات شخصية تاريخية وستظل كذلك موضوعاً لشباة الاقلام مر الدهور .

ادار حركة وادي المخازن بهمة ونشاط واستطاع بمهارته النادرة أن يكون العامل القوي في انتصار الجيش المغربي على جيش الصليب البرتقالي بعد أن استاثرت يد المنون باخيه أبي مروان صاحب العرش اذ ذاك قبل أن يقدر لهم النصر في ساعة رهيبة تختل من جلالها دقات القلوب.

كتب له النصر وانتقلت له الامارة في حين البشرى واعترفت الجماعة له بالخلافة الشرعية في هدو وسكون بدون أن يحصل اضطراب في اطراف المملكة وقد وردت عليه البيعة من العواصم المغربية فتم له الامر .

وكان أول ما بدأ به أعماله الادارية في خلافته تهدئة الجيش من روعةلولا حكمة المنصور لأدت به الى الانحلال في وقت يستدعي الهدوّ والسكون حيث أن الجيش طلب من المنصور بعد امارته أن يمنحه مرتباته العسكرية ليتسنى له التمادي في مباشرة اعماله ومتابعة خططه فباغته المنصور بطلب خمس الغنيمة ليتسنى له ترتيب وظائفهم المطلوبة من خمس الغنم وكانت مفاجأته غريبة حيث يتعذر على الجند ارجاع المغانم وقد مضى توزيعها في غير روية ولا امهال لذلك صعب عليهم الامر فتلطفوا في التنازل عن مطالبهم على أن لا يعاد قسم الغنائم فلبى طلبهم في هيبة وجلال ، وبعد انتصاره بعث رسل البشرى الى سائر الممالك الاسلامية والى دار الخلافة العثمانية باخضاعه الجيوش البرتقالية التي فلت صفوفها وتولت الادبار في زحفها رغماً عن قوتها واحتشاد جموعها من الدولة الايطالية والاسبانية والجرمانية تحت القيادة البرتقالية كتبت لها الهزيمة تحت راية المنصور بعد انسدال الستار عن حياة ابي مروان فعظمت بذلك مكانته لدى الامم الاسلامية ورفعت رايته البيضاء التي ترفرف على الرءوس في تلك الساعة التي كسي فيها المنصور بدثار الخلافة المغربية وحلي بشعار الملك .

فقفل المنصور بعد انتصاره راجعاً الى العاصمة الادريسية ثم توجه الى عاصمة ملكه مراكش الحمراء فاستقبله اهلها بما تستحقه عظمته واصبحت جموع الوافدين تنسل للعاصمة من كل حدب وصوب لاداء مراسم التحية للخليفة المنصور.

بعد كل ذلك اخذ المنصور في ترتيب الجند ترتيباً اداريا غريباً اتبع فيه الطريقة العثمانية ومزجها بما عهد عند الدولة العربية واضاف الى ذلك نظم الدولتين المرابطية والموحدية فاستخرج من مجموع تلك النظم طريقة مثلى سنها للاجناد ، قسم الجند الى فصائل وجعل على كل فصيلة قائداً محنكاً ترجع اليه رياستها وترتبط تلك الرياسة بالقائد الاعلى للجيوش وهو المنصور .

« يتبع »

محمد بن عثمان

الطب وآثاره بعاصمة مراكش

عناية الدول المغربية بعلم الطب ـ مشاهير الاطباء
العلاج والمستشفيات في عهد الحضارة الاسلامية
للفقيه البحاثة سيدي محمد بن احمد العبدي الكانوني

منذ تأسست العاصمة المراكشية أواسط القرن الخامس الهجري اخذ ملوكها من الدولتين اللمتونية والموحدية على عواتقهم بها نشر وسائل الرقي والعمران ورفع مستوى العلوم والمعارف فجلبوا لها من أهل كل فن فحوله ومن أهل كل صنعة اربابها حيث كانت الدولة حينذاك تضم تحت كنفها جميع الشمال الافريقي باقسامه الثلاثة وغالب الاندلس فصارت بذلك مركز السياسة والحضارة الراقية وخلفت قرطبة في سياستها ورقيها وبغداد في حضارتها وتفوقها ، ومن جملة المهن الجليلة التي قارنت هذه النهضة الحيوية مهنة الطب اذ هو ضروري لانتظام العمران وحفظه من التلاشي والاضمحلال وبرقيه في الشعوب يتهيأ للمرء قضاء لبانته من الحياة واداء واجباته فيها على احسن الوجوه واكملها ، ولذلك خصصت الكلام عليه في هذه المقالة الوجيزة .

الطب في الدولة اللمتونية : كانت هذه الدولة التي اسست مراكش قد نشرت رواق العدل وحسن الرعاية على كامل المغرب وغالب الاندلس فانقطع اليها من اهل كل فن اربابه فاتسقت بها نواميس الرقي والعمران حتى بلغت اوج عظمتها الخالدة في التاريخ ، ومن الذين تشرفت بهم من فحول الاطباء ابناء زهر الاشبيليون على ما سنذكره :

الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الايادي الاشبيلي : احد حكماء الاسلام له على الطب يد بيضاء كان له من امير المؤمنين علي بن يوسف المكانة السامية والمنزلة العالية التي تتناسب مع علي قدره وتقدمه الباهر في صناعته على اهل عصره حتى ذكر في المعلمة الاسلامية الجديدة انه تولي وزارته ، وناهيك بقول ابن دحين فيه : وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه ، توفي سنة ٥٢٥ .

ولده الوزير ابو مروان عبد الملك بن زهر : أخذ الطب عن والده وفاقه في جودة العلاج وحسن التدبير ، وكفاه شرفاً كون أبي الوليد ابن رشد حكيم الاسلام كان يثني عليه ويفصح بتقدمه في الفن واتقانه اياه ويثني على كتبه الطبية ، وله في الفن آثار جليلة منها : كتاب الاقتصاد في اصلاح الاجساد الفه للامير ابراهيم ابن يوسف بن تاشفين وفرغ من تأليفه سنة ٥١٥ ، وكتاب التيسير في المداواة والتدبير ، قال صاحب كشف الظنون ص ٣١٤ ج ١ أوله الحمد لله الذي كل ما يقع عليه الحواس يشهد له بالوحدانية الخ ذكر انه مامور بتاليفه ، وذكر فيه المعالجات فقط ثم ذيله بكتاب سماه الجامع هـ. وهذا الكتاب سارت به الركبان في المشرق والمغرب ثم في اروبا اخيراً على ما ذكره بعض الباحثين وذكر المقري في نفح الطيب نقلا عن ابن سعيد انه له كتاب الاغذية قال وهو مغتبط به في المشرق والمغرب هـ. ولست ادري هل هو الاول أو غيره وكانت وفاته سنة ٥٥٧ ، ولابد أن يكون هناك اطباء كثيرون في ذلك العصر وان كنا الآن لا نستحضر اسماءهم لضيق الوقت لان وفرتهم بها من لوازم حضارتها الراقية .

الطب في الدولة الموحدية : كانت هذه الدولة قد اقتدت بسابقتها في اتخاذ مراكش عاصمة الشمال الافريقي والاندلس وكانت ارقى منها حضارة واوسع مجالا في العلوم الرياضية والتشريعية ، يقول عنها سيديليو عند تحدثه عن جهودهم بالاندلس ، انهم انشئوا الجوامع والمئاذن والاماكن العامة والمستشفيات في كل بلد من للدانهم واقاموا الطرق والجسور والسدود وحفروا الابار واجروا الانهار هـ. وكان يوسف بن عبد المومن الذي بويع بعد والده سنة ٥٥٨ ـ مع حفظه للقرآن وصحيح البخاري واشعار العرب ـ سما الى الجمع بين الشريعة والحكمة فجمع من كتب الحكمة والفلسفة الشيء الكثير حتى كانت له دار كتب ، وجمع حوله اساطين علماء الشريعة والفلسفة ولم يزل يستجلبهم من الاقطار الى حضرته وياخذ عنهم حتى مات رحمة الله عليه سنة ٥٨٠ ، وكان من الاطباء والحكماء الملتفين حوله الوزير الطبيب الحكيم أبو بكر ابن الطفيل وكان حاذقاً بصناعة الطب والجراحات له في الطب والفلسفة آثار جليلة ، ونال من الحظوة ورفعة الشان عند يوسف السلطان ما لم يكن لغيره وقد توفي سنة ٥٨٠ ، والقاضي حكيم الاسلام أبو الوليد ابن رشد الحفيد صاحب الكليات في الطب الذي كان يفزع الى فتواه في الطب كما يفزع الى فتواه في الفقه ، استقدمه يوسف الى مراكش سنة ٥٦٨ بارشاد ابن الطفيل ثم مكث مدة

ورجع الى الاندلس حتى استقدمه ايضاً يعقوب بعد محنته المشهورة فاجل قدره ورجع فيه لاجمل راي وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥ ثم حمل للاندلس ، ومن اطباء عصره الطبيب الحكيم سعيد الغماري احد الاطباء الذين كانوا ينتابون حضرته وينالهم انعامه ، وكان يعقوب المنصور بن يوسف اعنى ملوك هذه الدولة بتخليد الآثار الخيرية قال عنه بعض المؤرخين انه بنى المساجد والمدارس في جميع المملكة وبنى المارستانات (المستشفيات) للمرضى والمجانين واجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة واجرى الانفاق على أهل المرستانات والجذمى والعميان في جميع عمله وبنى الصوامع والقناطر والجباب للماء واتخذ عليها المنارات وبنى المنازه من سوس الاقصى الى سويقة بني مضكود هـ. ويقول الشيخ عبد الواحد المراكشي في كتاب المعجب ان المنصور بنى بمراكش مارستانا ما أظن ان في الدنيا مثله وذاك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فاتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يغرس فيه من الاشجار المشمومات والماكولات واجرى فيه مياهاً كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك في وسطه ثم امر له بالفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف واجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجاً عما جلب اليه من الادوية واقام فيه من الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار من جهاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيراً امر له عند خروجه بمال يتعيش به ريثما يستقل بنفسه وان كان غنياً دفع اليه ماله ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح أو يموت وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن اهل كل بيت كيف حالكم وكيف القوَمة عليكم الى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ولم يزل مستمراً على ذلك الى ان مات رحمه الله سنة ٥٩٥ ، وقد كان هذا الملك العظيم قسم العاصمة اقساماً جعل على كل قسم منها مقدماً وما كان وظيف هؤلاء المقدمين الا تفقد الضعفاء والمرملين واليتامى والتعرف باحوالهم للقيام بواجبهم.

ومن اطباءه أيضاً الحكيم أبو بكر بن الطفيل والحكيم القاضي أبو الوليد ابن رشد الحفيد والوزير أبو بكر محمد بن زهر واخته أم عمرو ، قال القاضي ابن عبد الملك في التكملة : كانت متقدمة في الطب ماهرة في التدبير والعلاج حظيت بذلك عند امراء بني عبد المومن فكانت تلج قصورهم وتنظر في علاج مرضى نسائهم واطفالهم وامائهم وقد تستفتى في الطب لرجالهم فتزيد بذلك مكانة الى مكانتها التي يقتضيها مجدها المؤثل وشرفها المؤصل ، وتوفيت بعد الثمانين وخمسمائة هـ. وقال غيره كما في تاريخ التمدن الاسلامي انها كانت طبيبة دار المنصور نفسه ، وقد كان المنصور يغمرهم بالاحسان ويغدق عليهم جلائل الانعام الشيء الذي يملك به قلوبهم وينسيهم وحشة الغربة وفراق وطنهم الاصلي ، وفعلا كان ذلك وناهيك بما ذكره المقري في نفح الطيب ص ٤٤٦ ج ١ قائلا : اخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة أبو القاسم ابن محمد الغساني حكيم حضرة المنصور بالله الحسني (السعدي) أن ابن زهر لما أنشد وهو بمراكش يتشوق ولداً له صغيراً بأشبيلية قوله :

ولي واحد مثل فرخ القطاة ... صغير تخلف قلبي لديه
وافردت عنه فياوحشتي ... لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته ... فيبكي علي وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا ... فمنه الي ومني اليه

سمعه أمير المومنين يعقوب المنصور فأرسل المهندسين الى أشبيلية وأمرهم أن يحيطوا علماً ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم به في أقرب مدة وفرشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل آلته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر واولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شيء ببيته وحارته فاحتار لذلك وظن أنه نائم وأن ذلك أحلام فقيل له ادخل البيت الذي يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذي كان تشوق اليه يلعب في البيت فحصل له من السرور ما لا مزيد عليه ، ومن الاطباء الموجودين في هذا العصر بمراكش الطبيب الحكيم أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الحسن الانصاري المعروف بالاندلسي أحد اصحاب الشيخ أبي العباس السبتي كان زاهداً منزويا عن البلاط الملكي توفي كما في التشوق سنة ٦٠٥ ، وكان الجذمى في هذا العصر لهم حارة خاصة خارج باب أغمات

قبلي مراكش ويظهر أن يعقوب هو الذي جمعهم هناك فقد سلف لنا أنه جمع الجذمى والعميان واجرى عليهم المرتبات، ثم بعد ذلك نقلوا الى غربي مراكش خارج باب دكالة ولا أدري الآن متى نقلوا ولا من نقلهم، وحارتهم هذه الآن قرية لها مسجد جامع وسوق، كان مهما ظهر الجذام في انسان حمل اليها احتياطاً من العدوى لكن مع تدهور الاحوال ذهبت تلك النظامات والمرتبات، وحارتهم لا تزال آهلة بالسكان الى الآن.

الطب في الدولة السعدية : كانت هذه الدولة في القرن العاشر الهجري قد تدارك الله بها أمر المغرب عموماً ومراكش خصوصاً فاحيت منه المعالم وجددت المحاسن ونشرت الحضارة في ربوع المغرب، فان كان السلطان عبد الله الغالب المتوفى سنة ٩٨١ قد اعتنى بمراكش عناية خاصة وخلد بها آثاراً جليلة، منها المستشفى بحومة الطالعة ووقف عليه أوقافاً برسم النفقة على المرضى والمجانين والقومة والاطباء ونحو ذلك من لوازمه، وكان تأسيس هذا المستشفى في عشرة السبعين وتسعمائة، وقد أدركه الناس حوالي سنة ١٣٣٠ ولا يزال اذ ذاك موئلاً للمجانين والمعتوهين مربوطين بسلاسل حديد كما ادركوا جانبه محولا الى سجن للنساء ويعرف الى الآن بمارستان مولاي عبد الله السعدي، ولقد زرته حال كتابة هذه الاسطر فاذا هو متعدد الديار والبيوت والمنعرجات فوقياً وسفلياً وبه ساحتان احداهما فيها شجيرات والاخرى فارغة، ودهشت لمنظره حيث رأيته قد سقط علويه على سفليه وصار غالبه أكداساً من حجارة وتراب وبعض الحيطان مائلة تبكي صروف الدهر وتقلباته وتنبئ عن اهمال كبير وعدم عناية بآثار من سلف، ونحن بكل أسف يكون الشيء لدينا في أعلى درجات العظمة فلا يزال به اهمالنا حتى يصير حقيراً مشوهاً — كهذه المؤسسة الانسانية التي صارت خربة يستثقل النظر اليها — ولا يزال به الاهمال حتى يصير في خبر كان ولا يدرى موقعه ولا منزلته، وكم لهذا من نظير في مغربنا، فلقد انطمست محاسن وهدت معالم يفخر بها الاسلام وابناؤه لو كانوا يعقلون، فلو كانت آثارنا تحظى لدينا لكانت مدنيتنا فوق كل مدنية أو على الاقل مثل غيرها ولكانت حافزة لنا عن السقوط في مثل هذا الاهمال والموت المعنوي. وكان السلطان احمد المنصور السعدي المتوفى سنة ١٠١٢ هـ أرقى ملوك الدولة السعدية وأعناهم بالعلوم والمعارف[1] وخصوصاً علم الطب، وكان له بطبيبه الخاص أبي القاسم بن محمد الغساني اعتناء واهتبال لمعرفته بالفن واتقانه اياه، ولهذا الطبيب موضوعات في الطب منها كتابه حديقة الازهار في شرح ماهية العشب والعقار الفه برسم السلطان المنصور ووشح طالعته وخاتمته باسمه، استهله بقوله : الحمد لله انفرد بالبقاء والقدم وأبرز مخلوقاته الخ حتى يقول : وبعد فانه لما قلت انصار العلم ودرست معالمه وافلت كواكبه فيض الله عالم الخلفاء وخليفة العلماء أمير المومنين أبا العباس المنصور ...... ولما كان اهتمامه بفن الطب فوق كل اهتمام وكان أهم فنونه الى الطب معرفة العقاقير والعشب خدمت بابه الكريم بهذا المصنف القويم ...... ورتبته على حروف المعجم الخ وفرغ منه يوم السبت ١٧ ربيع النبوي سنة ٩٩٤ وهو في تسع كراريس وله مختصر محذوف المكرر، ومن موضوعاته شرح منظومة ابن عزرون في الحميات وغير ذلك من التآليف.

ومن أطباء عصر المنصور الطبيب الحكيم عبد الغني بن مسعود ابن الحسن الزموري تلميذ أبي القاسم الغساني، وله أثر جليل في الطب هو كتابه (القانون المفيد في علاج الحصا بقول سديد) في سبع كراريس رتب البحث فيه على خمسة عشر باباً آخرها في شرح المفردات الواقعة في الكتاب، استهله بقوله : الحمد لله الملك العلام خلق الانسان من نطفة امشاج في أحسن تقويم وابدع احكام، حتى يقول : وبعد فلما كانت والحفظ بالله علة الحصا عمت بها البلوى وكثرت بها (الى) اطباء الوقت الشكوى وكنت على حداثة سني عام ٩٩٤ شاركت اطباء وقتنا والمشار اليهم بذلك في وقتنا فأظهروا لي الجفا وأبدى كل واحد منهم ما كان خفي فلجأت من بينهم الى رءيسهم الاشهر العارف في هذا الفن وغيره بالحظ الاوفر... أبي القاسم ابن الطبيب الكبير المرحوم ابي عبد الله محمد الغساني فتلقاني بالقبول وبلغني من القراءة عليه من هذا الفن المامول، ثم يصرح باهدائه الى المنصور ويطلب منه قبوله اياه. ليتنبه القارئ الى هؤلاء الاطباء الذين ذكرهم الزموري فان ذلك يدلنا على كثرتهم وكونهم منتظمين كأن لهم مجمعاً خاصاً له رئيس كما ترى، وقد اشتهر المنصور بالاعتماد على الطب وهناك واقعة الطاعون الذي وقع في أيامه بسوس حيث كتب وهو بفاس الى خليفته بمراكش يوصيه بما يدل على ان ما يسمى اليوم الحجر الطبي كان معروفاً في ذلك

(1) من أغرب ماجاء عنه ما في بشائر أهل الايمان ذيل معالم الايمان عن سائح ورد عليه أنه وجده يدرس المطول في البيان بالمسجد وهذه غاية لم تكن لملك.

الاميرة اعتماد الرميكية

بقلم الاستاذ الموفق سيدي محمد المختار السوسي

وله كتاب نفيس في مراكش المرابطية يشتمل على سلسلة لوحات وصور جميلة في عهد الدولة المرابطية، لعله ينشر عن قريب، وهذه صفحة من فصل في هذا الكتاب يتعلق بآل ابن عباد :

إن للادب بالاندلس في القلوب مكانة، واستحواذا على النفوس استحواذا غريباً يدل على مبلغ الرقة التي اتصفت بها عواطف سكان الفردوس المفقود، ومقدار الاريحية التي تتفجر بها مشاعرهم الفياضة فبينما المرء في الحضيض في منبت سوء، وقد اعتورته الفاقة من كل جهة، واكتنفته الازدراءات من كل جانب، تقتحمه العيون، وتنبذه صدور المحافل، الى مخالع النعال، اذ به من اجل معنى تفرط منه اجادته، ونادرة يرسلها مصادفة، من اعظم الناس تحنى له الجباه، ويخر له الشعب اجلالا واحتراماً.

خرج ابن عباد مرة مع سميره ابن عمار في زي لا ينم عنهما فوقفا بالوادي الكبير باشبيلية، فهبت الريح على صفحة النهر فخططت فيه تلك الخطوط الرقيقة المتوازية كأنها الثنايا حول السرة، من غضة بضة لما تكتنز لحماً، ولم تمططها بعد السنون، فقال المعتمد : « حاكت الريح من الماء زرد » ثم استجاز رفيقه فارتج عليه، ولكن غسالة في الضفة بادرت فقالت : « أي درع لقتال لو جمد » .

فأية نفس لا تطير لهذه الاجازة الفذة، وأي أديب يملك نفسه أمام الروعة التي يثيرها هذا التفوق الذي قلما يكون فيه للصدف نصيب، فالتفت المعتمد وهو ماخوذ قد استحوذت عليه الاريحية، وتملكه تأثر الاحساس الرقيق الذي يسترق الادباء في أمثال هذه المواقف فكاد الملك وقد تلفت قلبه قبل أن يتلفت طرفه أن يترامى على حسناء أفرغت في قالب الجمال، وقد أدرك من بصرها اللماع انها هي المجيزة من بين صواحبها الواقفة عن يمينها وشمالها، فبادرها بالسؤال، فعلم أن الجميلة خالية من القرين وأنها جارية لرميك بن الحجاج وليس المعتمد من نعرف ان افلت هذا القنص من احبولته، وهل فاز باللذات الا الفاتك اللهج ؟

طلعت اعتماد وهو اسم الرميكية في قصر اشبيلية ملكة تعرف كيف تاسر القلوب وتستولي على زمام المعتمد بلطفها واندفاعها وراء مباهج الحياة ومتعها اندفاعاً ان كان يروق للادباء الرقيقي الشعور الذين يرون من رحمة الله ما لا تغادر معه لذة ولا يعرض معه عن متعة فلا يروق للفقهاء الذين خلقوا للجد ووقفوا سياجاً دون الاخلاق يذودون عنها بكل ما أوتوا من قوة وما استطاعوا من دفاع .

جلس المعتمد في قصر من قصوره المشرفة على بسيط اشبيلية وقد أحب الاجتماع بقرة عينه اعتماد، فوجه اليها يعرفها بذلك ويخيرها هل تجيء اليه أو يذهب اليها فكتبت اليه :

الوقت – راجع النزهة – ولا جرم أن التابع لدين من تعاليمه أن لايدخل الانسان الى محل فيه الطاعون ولا يخرج منه جدير أن يتوقى الامراض توقي السليم من الاجرب وأن يفر منه فراره من الاسد .

هذا ما تيسر جمعه الان والموضوع عظيم متشعب المناحي يستدعي وقتا طويلاً وبحثاً واسعاً ولعله تكون لنا عودة اليه أن شاء الله بأوسع من هذا بحوله وقوته .

محمد بن أحمد العبدي الكانوني

مراجع المقال

المعجب، نفح الطيب، الاستقصا، القرطاس، التكملتان لابن الابار وابن عبد الملك، النزهة، النشر، كشف الظنون، درة الحجال، تاريخ سيديليو، حقائق الاخبار عن دول البحار والوفيات لابن خلكان، والتشوف .

غرضي أن يكون منك وصول

بخطاً تسبق الرياح حثاث

ثم تعلو صدري وتحرث بطني

. . . . يخط كالمحراث

واذا ما حصلت . . . فرضي

لم تدعني الى بلوغ الثلاث

فعمل المعتمد الى الخبيثة الخطا الحثاث ، وأبلغها الى الثلاث.

وأطلت مرة والثلج يساقط على شعف الهضاب ، وذلك نادر في مقاطعة اشبيلية فحنت الى تبديها الذي ألفته منذ درجت بين سمع البادية وبصرها ، وانحت عليه باللائمة حيث حرمها من التمتع بمناظر الطبيعة الساذجة ، بعد أن زجها في القصور مجاراة لنظام الابهة والترفع عن الاختلاف الى كل مكان ، فأمر المعتمد بغرس اللوز في حدائق القصر فلما اهتزت اشجاره ، وتتوجت اغصانها الخضراء ، بازهاره البيضاء ، أراها بذلك المنظر الذي يجسم الخيال الشعري أن بين مماشي غرفها من مناظر الطبيعة المتسقة ما لا يوجد له نظير فيما كانت تعهده من قبل ، وأطلت مرة اخرى فرأت نساء من البدويات يخضن في الاوحال ، وتذكرت ما كانت عليه أيام طفولتها وسذاجتها فتمنت أن تسترجع تلك اللذة العذبة وان تخوض كما تخوض البدويات فامر المعتمد العاشق الموله بالمسك والعنبر ففتا في ناحية من نواحي القصر بماء الورد فالت هي وجواريها خوضا في طين الملوك لاطين الصعاليك ولكن لا أدري أوجدت ذلك الاستلذاذ القديم في طينها الجديد أم تعوزها غرارات الصبا وسذاجة الحداثة اللتان تسبلان على الايام الاولى من شرخ الشبيبة ما يتذكره من تقدمت به السن وتخطى العقد الثالث ، فتجري عليه اجفانه عبرات ، وتتطاير منه اضلاعه حسرات .

ونأى المعتمد عنها في بعض تنزهاته ، فحداه الشوق اليها وتأججت في صدره نيران الصبابة ، فكتب اليها رسالة ضمنها هذه الابيات الستة التي افتتح كل بيت منها بحرف من حروف اسمها :

أغائبة الشخص عن ناظري

وحاضرة في صميم الفؤاد

عليك السلام ، بقدر الشجون

ودمع الجفون وقدر السهاد

تملكت مني صعب المرام

وصادفت ودي سهل القياد

مرادي لقياك في كل حين

فياليت اني اعطى مرادي

اقيمي على العهد ما بيننا

ولا تستحلي لطول البعاد

دسست اسمك الحلو في طيه

وألفت فيه حروف «اعتماد»

على أن ام البنين الرميكية ماكانت لتدع لشهواتها وخلاعتها واستهتارها ، تربية اولادها ، وتثقيف عقولهم ، فقد ادت لهم ما هو فوق الواجب ، فاننا نرى من المامون والراضي والرشيد وبثينة[1] من الادب النادر ، وقول الشعر ، وخفة الروح ، وثبات الجاش ، ما يدلنا على أن المدرسة الاولى التي رشحوا فيها بهذه الخلال العالية قد عرفت من التربية مثل ما عرفت من مناجاة القلوب وسرائر الحب ، وذلك ما يجعلها امام التاريخ من نساء العالم اللاءي أدين ما عليهن نحو الازواج والابناء ، وقمن بما عليهن ولهن من حقوق .

(١) بثينة بنت المعتمد اسرت يوم الكائنة على أبيها فبيعت ثم تقلب بها الدهر حتى كتبت لابويها بقصيدة على يد خطيبها الى اغمات فأجاباها بقصيدة اخري في مثل ذلك مما يذيب القلوب على الاسرة العبادية المنكودة .

على أنها من ناحية اخرى لايزال التاريخ بخنقها ، ويد النقد تاخذ بتلابيبها ، حيث جرت المعتمد الى الاستهتار ، حتى كان يترك الجمع ، وحتى كان يفتح ابواب المقاومة لرجال الدين الذين لا ينبغي لأيّ سياسي ولو كان نابليون ان يزعم ان القوة تكمّ منهم الافواه ، أو تغلهم عما هم بصدده من التضحية في الذود عن الدين ، والدفاع عن الفضيلة ، كما هو الواجب على كل من عرف ما للدين وللفضيلة في ترقي الانسانية ، وما للإلحاد والرذيلة في تدهور العالم [1] .

توترت العلائق بين اشبيلية ومراكش ، بعد ان قاد يوسف ابني باديس من غرناطة ، فقام الفقهاء وسراة الناس من اشبيلية يلحون على ابن تاشفين ان يضرب على يد المعتمد المستهتر المجاهر بالمنكرات وتبطيل الجمع فامضوا بذلك عقوداً مسجلة ، فحان حين المعتمد ودبّ اليه سيدي قائد مراكش ، فكانت الكائنة العظمى ، وسيق بعدها ابن عباد مع الملكة اعتماد الى اغمات حيث تتجهم لهما الحياة ، وتكشر في وجهيها انياب الخطوب ، فكان ذلك اثر في الملكة فصارت تغاضب الزوج المنكوب ، وقد قالت له مرة وقد علا بينهما ما يبعثه ضيق الغربة وحرج الفاقة : ما رأيت منك خيراً قط ! فقال لها : ولا يوم الطين ؟ - يلوح الى يوم طين المسك في قصر اشبيلية - وبينما هما مرة اخرى يتعاطيان اطراف الحديث ، اذ قالت له : مولاي أين جاهنا ، فقال الملك المنكود من ابيات :

مولاي هنا ها هنا   مولاي اين جاهنا ؟
قلت لها الاهنا   صيرنا الى هنا

ثم كانها اجتوت اغمات ، وأثرت فيها مظاهر درن الذي يقول فيه المعتمد :

هذي جبال درن   وكم بها من درن

(1) جمت هذه الترجمة من ملوك الطوائف والنفح وتحفة العروس .

فليتني لم أرها   وليتها لم ترني

فما زال يلح بها الضعف حتى استلقت على فراش المرض فبذل زوجها جهده في علاجها واستدعى لذلك طبيب القصر بمراكش ابا العلاء ابن زهر فلباه بكل احترام وكان الاساء لم ينجح ، فالتحقت الملكة بربها وتركت وراءها من الألام ما انفرد به زوجها الذي لم يلبث أن التحق بها فدفن أزاءها ، وكاني به وقد اوصى بذلك ، قد تذكر قول الثقفي :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني
أخاف اذا ما مت ان لا أذوقها

محمد المختار السوسي

أشرف بقعة - وأقدس - بناحية مراكش

« تتمة المقال الاول »

من رجال القرن العاشر ما يستغرب سماعه وهو أن ابناً لأبي جهل بعد فتح مكة ورد على المغرب لناحية آسفي وسكن بها قال حكى ذلك أبو التقى صالح بن عبد الحليم وقال حدثني بنسبه اليه الشيخ الفقيه المسن ابو يعقوب الماجري ثم ساق عموده الى أبي جهل من جهة الولد المذكور ، ومثله في الغرابة ما ذكره ابن التلمساني المذكور في شرحه على الشفا ايضاً نقلا عن العالم الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي علي الحسن بن مخلوف الراشدي المعروف بابركان قال ذكر أبي عن شيوخه أن في غزوة الاحزاب سار فيها لنصرة قريش من جبال صدينه من المغرب الاقصى أربعون رجلاً أو فارساً ذكره أبو زيد الجزولي اه .

وهذا وان كان مما لم يألف الناس اليوم سماعه وربما يستبعدونه من جهة طول المسافة بين الحجاز وافريقية

فانا نقرأ مثلا ان الحسن بن سعيد الخراط يقول ان عبد الله بن الزبير لما ذهب الى عثمان بالمدينة بخبر الفتح في افريقية وصل الى المدينة من سبيطلة في ثمانية عشر يوما، انظر معالم الايمان في رجال القيروان ، ص ٦٣ ج ١ . وسبيطلة هذه من القطر التونسي ، وجاء أيضاً في معالم الايمان ص ٤١ ج ١ . أن بين ثغر افريقية وهو طنجة وبين القيروان ثمانية ايام ، ويسهل عليك تصور هذا ان طرق البريد المنزعج هي غير مسالك المارة من الجيش العرمرم ، أفلا ترى انهم يقولون ان الامر من المنصور السعدي كان يصل من مراكش الى فاس في يوم واحد على طريق درن على الجمال العشارية .

فاذاً ليس هناك استبعاد وحيث ان الامر كذلك فنذكر ان المؤرخ النسابة ابن ابراهيم الدكالي الفاسي في سلسلة الذهب المنقود : قال وجدت بخط العلامة أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي أنكر والدنا ما يذكر من أن قبور بعض الصحابة بسوس بانه لم يوجد في تاريخ الصحابة وباستبعاد وصول الصحابة الى المغرب وقد كان به ودرنة ممالك للكفار ، قال كاتبه عبد الرحمن ثم وقفت في تأليف لابي علي صالح بن أبي صالح في القبلة وقد عد المساجد القديمة فقال منها المسجد المنسوب الى عقبة بن نافع الفهري على وادي نفيس بقرب دكالة ، قال البكري في الممالك وصل الى مدينة نفيس بقرب دكالة وبنى مسجده المعروف الى الآن فلا شك أن عقبة وصل الى وادي نفيس الخ. فانظر يتبين لك موت الصحابة هناك ودفنهم فالبعيد أن يكون جيشه وصل ثم لم يمت منه احد اه. كلامه .

وأبو علي صالح بن صالح الذي نقل عنه ما ذكر هو أبو علي صالح بن عبد الحليم نزيل نفيس الايلاني التاريخي الزاهد الورع ترجمه ابن القاضي في درة الحجال وقال كانت حياته سنة ٧١٢ .

وقد عقد أبو العرب التميمي في طبقات علماء افريقية ترجمة لمن دخل افريقية من الصحابة والتابعين ، أنظر ص ١١ ، وعقد الحافظ أبو زيد الانصاري الدباغ في معالم الايمان وابن ناجي في تهذيبه ترجمة لما نزل بالقيروان من الصحابة ، انظر ص ٣٠ الى ١٣٨ وترجم في الاستقصا بقوله ذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة اسماءهم على حروف المعجم ص ٢٩ ج ١ فذكر منهم الحسن والحسين والعبادلة وقال اخرج ابن عبد الحكم عن سليمان بن يسار قال غزونا افريقية مع ابن جريج ومعنا بشر كثير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار .

أما وصول عقبة الى وادي نفيس الذي ذكره البكري وابن عبد الحليم فقد قال الولي ابن خلدون في العبر وصل عقبة الى مدينة درن وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب وحاصروه بجبل درن ثم دوخ بلادهم ثم جاز الى بلاد السوس وانتهى الى تارودانت وهزم جموع البربر وقاتل حسومة من وراء سوس ودوخهم وقفل راجعا ، وقال الحافظ أبو زيد الدباغ القيرواني في معالم الايمان كان عقبة حريصاً في مغازيه بلغ الى سوس المغرب والى بلاد السودان وفتح سائر افريقية وودان وعامة بلاد البربر اه. منه ص ١٣. ج ١. وفي رحلة أبي علي اليوسي وهي من جمع ولده لما تكلم على ضريح عقبة وترجمته ويقال انه بلغ الى اقصى المغرب وبلغ وادي درعة واليه نسبت القرية المدعوة اعقبت بخميس تنزلين اه. ومن خطه نقلت وانظر معالم الايمان وتاريخ الجمان والاستقصاء في وصول عقبة وانه انتهى الى بلاد آسفي وادخل قوائم فرسه في البحر الخ. القصة .

هذا واذا ثبت بما ذكر ان هذا العدد من الصحابة دخل المغرب فما يمنع احدهم من الموت به وقد قاتلوا وفتحوا وتبدل عليهم الهواء والماء والطعام ، ولما قال أبوزيد الدباغ الانصاري في معالم الايمان لم يدفن بالمغرب وافريقية من الصحابة سوى أبي زمعة البلوي قال ابن ناجي عقبه في هذا نظر ثم ذكر عن شيخه أبي القاسم البرزلي انه قال له لما حججت زرت قبر أبي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقابس ، ونقلهم فيه متواتر بما ذكره المؤرخون انما هو ممن علموه وذلك يدل على أن غيرهم على خلاف ما لم يعلموا فالعمل على ما ذكره اهل قابس ولا قادح يقدح في نقلهم اهـ. كلام ابن ناجي ص ١١ ج ١ وهكذا القول في هؤلاء المصامدة الذين منهم يعلى ، وكيف يمكن للدباغ المذكور وغيره ان ينكروا دفن احد من الصحابة بأفريقية دون أبي زمعة البلوي رضي الله عنه وابن خلدون يصف في تاريخه مقتل عقبة بن نافع بتهودة (بسكرة اليوم) وانه لما انفصل عن المغرب تعرض له كسيلة وقد كان استصحبه معه في الجيش الذي فتح به المغرب فانفض عنه وقاتله بجيوش من البربر قال في عقبة واصحابه لم يفلت منهم احد وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد ، قال ابن خلدون وأجداث الصحابة رضي الله عنهم واولئك الشهداء أعني عقبة وأصحابه بمكانهم من ارض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبورهم اسنمة ثم جصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة قال وهو في عدد المزارات ومظان البركات بل هو أشرف مزور من الاجداث في بقاع الارض لما توفي فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مد احدهم ولا نصيفه واسر من الصحابة يومئذ محمد بن اوس الانصاري ويزيد بن خلف العبسي ونفر معهما اهـ كلام ابن خلدون ونقله في الاستقصاء ص ٣٩ ج ١ ، فهذا نص صريح في ان هذا العدد الذي مات من الصحابة مع عقبة كان معه في المغرب الاقصى ومدينة نفيس فهل كان هناك رصد لئلا يموت احد من الصحابة بوادي نفيس وبلاد المصامدة إن هذا عجب عجاب .

وهذه البقعة من مدينة نفيس هي التي ذكر ابن ابي زرع وغيره من المؤرخين أن الفاتح الاعظم المؤسس الاول في المغرب لاول دولة اسلامية مستقلة ـ مولانا ادريس أول ملك في المغرب ثبتت به دولة الاسلام واستقرت الى الآن ـ لما فرغ من بناء فاس أقام بها الى عام ١٩٧ فخرج الى غزو نفيس وبلاد المصامدة فوصل اليها فدخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع الى فاس اهـ ، ونحوه لابن القاضي في الجذوة وصاحب الاستقصاء تحت ترجمة غزو إدريس بن إدريس المغربين واستيلائه عليهما ثم ذكر في الاستقصاء أيضاً أن محمد بن ادريس لما قسم بلاد المغرب بين اخوته اختص عبد الله منهم بأغمات وبلد نفيس ، وقد سبق عن ابي عبيد البكري أن صاحب مدينة نفيس حمزة بن جعفر من بني عبد الله بن ادريس ابن ادريس فعلى هذا تداولت ايدي بني عبد الله بن ادريس مدينة نفيس مددا ، وبعد دولة الادارسة دالت مدينة نفيس هذه وما بقيت تعرف الا بالرباط الذي بقي بها .

ولم يزل رباط شاكر هذا على اختلاف الاجيال والقرون تشد له الرحال من جميع نواحي المغرب وخصوصاً قبائل الحوز في كل ليلة ٢٧ من رمضان فتختم به عدة سلك القرآن ، وفي المنهاج الواضح في ترجمة الشيخ ابي محمد صالح دفين آسفي وهو من رجال القرن السادس ـ السابع انه كان لا يتخلف عن حضور موسم شيكر بوادي نفيس

ويذكر ما لاقى به ومن اجتمع به هناك من افراد العباد ، ونحوه لابن عبد العظيم الزموري في تاريخ بني مغار ، ولما تكلم أبو علي اليوسي في المحاضرات على المواضع التي وقع التغالي فيها بالمغرب قال ومنها رباط شاكر وهو مشهور وكان مجمعاً للصالحين من قديم ولاسيما في رمضان يفدون اليه من كل أوبة حتى حكى صاحب التشوف عن مينة الدكالية انها حضرت ذات مرة في رباط شاكر فقالت لبعض من معها انه حضر في هذا العام في الرباط الف امرأة من الاولياء ، فانظر الى عدد النساء فكيف بالرجال فلا شك ان هذا الموضع موضع بركة ومجمع خير اه ، ونقله برمته عالم مراكش المكي السرغيني دفين فاس في الكواكب السيارة وهو تأليف في جزء استفسر فيه خطبة السلطان أبي الربيع المولى سليمان في الزيارة وما أجدره بالطبع .

ونقل في سلسلة الذهب المنقود عن جواب للمفتي عبد الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريره جاء فيه لما تكلم على احد رجال رجراجة السبع وهو يعلى بن واصل قال مدفنه برباط شاكر بالمعمورة وهو أبو سيدي شيكر المنسوب اليه الرباط المذكور وما زال الناس بمراكش واعمالها يقصدون هذا الرباط في ليلة ٢٧ من رمضان يحضرون لختم القرآن بجم غفير من اخلاط الناس وبين الرباط المذكور ومراكش مسيرة يوم اه . ولا غرابة في اشتهار الرباط بشاكر مع دفن ابيه فيه المقول بصحبته لانه احد رجال رجراجة السبع ، والشهرة كالماء تفور من هنا ثم تغور وهي سنة الله في خلقه كشهرة زاوية الشيخ ابن ناصر بولده أبي العباس دون أبيه الذي هو الشيخ الاكبر للطريقة .

وبالجملة فالذي يرد اليوم على مشهد هذا الرباط الواقع على طرف وادي نفيس يرى مشهداً مؤثراً وبسيطاً ممتداً ومجاري ومناظر وتراباً ونباتاً وروابي اشبه شيء ببسيط ومناظر وتراب القيروان الذي به مسجد عقبة الى اليوم ، والمسجد الموجود الآن من بناء وتجديد السلطان مجدد الدولة العلوية أبي عبد الله محمد بن عبد الله رحمه الله فقد ذكر الزياني في الروضة السليمانية انه لما خرج في حركة عام ١١٧٨ في فصل الربيع خرج يقصد زيارة رجال ركراكة على عادته ثم عاد الى محل الرباط الشاكري قال فأمر بتجديده وحفر اساسه ، وفي الاستقصاء ص ١١٥ ج ٤ لما تعرض لهذه الزيارة : فأمر بتجديد مسجده وحفر اساسه وتشييده اه .

وقد قصدت زيارة هذا الرباط عام ١٣٤١ وأقمت به مدة في ذلك البسيط الباهض على ضفة ذلك النهر المنهمر واقرأت دروساً في هذا المسجد العظيم المهول في بنائه الواسع في اكنافه المتدة صومعته تناطح السحاب وامليت به دروساً حديثية حضرتها امم من تلك الاصقاع من اتباع الطائفة الكتانية وغيرهم من حمير وما اليهم ولما رأيت اذ ذاك من اشراف المسجد على السقوط وتداعيه الهبوط المني ذلك فقاربت الخطى الى الرباط حيث السلطان المعظم المأسوف عليه المولى يوسف بن مولاي الحسن رحمه الله فقصصت عليه خبر المسجد المذكور والرباط ومدفن شاكر وابيه يعلى الرجراجي كما قصصت عليه في هذه المرة خبر المحل الذي فاضت فيه روح والده المولى الحسن رحمه الله بوادي العبيد حيث غسل وكفن وما آل اليه حاله ، ثم زرت هذا الرباط أول سنة ٥٤ فوجدت ان يد بعض الاصلاح قد عملت فيه بهمة اكبر قواد تلك الناحية النلسك الذاكر المتعبد القائد العربي بن الكوش نفعه الله بذلك ، وأخبرني هو وغيره ان السلطان العظيم الشأن المولى الحسن بن محمد كان ينتاب هذا الرباط كثيراً

واكثر زياراته كانت على طريق الخفاء مريداً به التعبد والانزواء عن الضوضاء والجلبة ، ونحن بغاية الممنونية نلقي طلب احياء هذا الرباط وتجديد معهده على عتبة الابواب السلطانية والمراحم الملكية المحمدية لافتين نظرها الشريف الى بقعة اثرية جالت فيها يد الهدم والتخريب ومسجد اشرف على السقوط أو كاد بعد أن هبا البنيان وطوي بساط المدينة واندثر ولم يبق لها من أثر ، وسنعيد مرة اخرى الكرة الى هذا الموضوع بابسط من هذا ان شاء الله .

عبد الحي الكتاني

مراكش الحمراء

(بقية المنشور على صحيفة ٧)

وبعد انقراض الملوك السعديين قام بأمر المغرب بعدهم ساداتنا الاشراف العلويون قدس الله ارواحهم فاتخذ جلالة جدهم الاعلى السلطان الاعظم مولانا اسماعيل مكناسة الزيتون دار ملكه وبقيت كذلك سائر مدته ومدة اولاده الى ان جاء السلطان المرحوم سيدي محمد بن عبد الله الى مراكش واتخذها عاصمة ملكه وباستقراره بها سكنت الاضطرابات والفتن التي دامت في الغرب مدة ثلاثين سنة أي من وفاة السلطان المولى اسماعيل سنة ١١٣٩ هـ الى سنة ١١٧١ هـ التي بويع فيها بمراكش للسلطان سيدي محمد بن عبد الله فاعتنى بها أيما اعتناء وجدد قصبتها التي لم يبق بها الا القليل من آثار الموحدين والسعديين وبنى بها قصره العظيم المسمى الآن عرصة النيل وبنى المسجد الاعظم المجاور للقصر المسمى مسجد بريمة واحيا بستان اكدال وجلب المياه الكافية لسقيه وأتم سوره وادار سوراً بالقصبة وافردها عن المدينة وامر كبار قواده وأعيان حاشيته ببناء دورهم بها الى ان صارت مدينة مستقلة ومن رأى قصور دار المخزن بمراكش علم مقدار اهتمام هذا الملك العظيم بهذه المدينة وزيادة على ذلك جدد ضريح الشيخ أبي العباس السبتي ومسجده ومدرسته وضريح الشيخ التباع ومسجده وضريح الشيخ الجزولي ومسجده وضريح الشيخ الغزواني ومسجده وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده وضريح المولى علي الشريف ومسجده الاعظم وضريح الشيخ ميمون الصحراوي ومسجد الملوك ببريمة ومدرستيه وجدد جامع المنصور والمسجد الاعظم بباب دكالة والمسجد الاعظم بالرحبة ومساجد القصبة ومدارسها الست ، وتولى بعده ولده السلطان العالم مولانا سليمان فاصلح قصور ابيه وزاد فيها وزاد في عمارة القصبة وجدد المسجد الاعظم الذي اسسه علي بن يوسف بن تاشفين وبنى منارته التي عليها مدار المدينة في التوقيت وبنى قنطرة وادي تانسيفت بعد سقوطها وبقي مهتما بامور مراكش الى ان توفي واقبر بها بضريح جده المولى علي الشريف وفيها عهد بالملك لابن اخيه المولى عبد الرحمان بن هشام فبنى مسجد الوسطى وجدد جامع المنصور بالقصبة ومسجد الكتبية وجامع حارة الصورة وجامع القنارية وجاء بعده ولده السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فزاد في غرس اكدال وجر اليه المياه الكافية ووسع بركه حتى صار اكثر مما كان وجدد قصوره وأنشأ بستان المنارة المشهور بانشراحه وجمال قبته وكبر صهريجه رحمه الله ومن شاء استيعاب ما لهذا الملك من الآثار الحسنة فليراجع كتاب الجيش للفقيه أبي عبد الله اكنسوس المراكشي فقد أبدأ وأعاد .

واسس السلطان المقدس مولانا الحسن قصره المسمى بالدار البيضاء باكدال وجدد غيره من القصور ثم في عصر السلطان المرحوم مولانا يوسف ونجله جلالة ملكنا الحالي المنصور المؤيد سيدي محمد بن يوسف ازدادت عاصمة الجنوب ازدهاء وازدهاراً على سائر العصور بفضل اهتمام صاحب الجلالة باقتفاء اثر اسلافه وبوجود الانظمة العصرية التي ادخلتها الى جميع بلاد المغرب الاقصى الدولة الحامية الفرنساوية ونالت مراكش الحمراء منها حظاً وافرا في هذا العصر جدد جل الآثار التي خلفها المتقدمون ونظمت امور الاحباس وتحسنت املاكها وارتفعت ايراداتها من بضعة آلاف الى ملايين ووقع الاصلاح والتجديد في جميع المساجد وبالاخص الكبيرة منها المعدة لخطبة الجمعة البالغة اربعة وعشرين وكذا الصغيرة وانيرت مع مناراتها بالاضواء الكهربائية واصلحت عيون المياه الداخلة للمدينة حتى صار الماء لا ينقطع حتى في فصل الصيف الذي كان يقل فيه عادة فيما مضى وادخل ماء آخر جديد من ناحية وريكة في قنوات من حديد بعد تصفيته وتنقيته وقد وزعت انابيبه في غالب احياء المدينة وسيعم باقيها ووقع الاعتناء

بتنظيف الازقة ليلا ونهاراً وتعبيدها وتزفيتها وانشئت مدارس لتهذيب النشء وتثقيف الافكار وانشئت مستشفيات عظيمة يأوي اليها كل سنة ما بين زائر ومقيم ما يعد بعشرات الالوف ونظمت المحاكم وتحسنت الطرق وسهلت المواصلة بين مراكش وبين سائر الجهات وتعددت الفنادق العصرية والمطاعم لنزول السواح الاجانب الذين يأتون بكثرة ويحصل من اتيانهم كبير النفع بترويج الصنائع والمتاجر والف الناس كثرة الاسفار والاستفادة المادية والادبية منها بعد ما كانوا يعانونه من المشاق وضياع الوقت في السفر على البهائم ووقع الارتياح الى حسن المعاملة بتنظيم مصلحة البريد والبرق والتلفون وبالجملة فقد شاهد الناس في هذا العصر من ضروب الاصلاح ووسائل الراحة ما جعل السنتهم رطبة في كل وقت وحين بالدعاء الصالح لصاحب الجلالة والعظمة السلطان سيدي محمد دام مجده وعلاه وبالثناء العاطر على رجال الدولة الحامية على ما يقومون به من اعانة ومساعدة للبلاد والعباد .

وبالجملة فاذا كان المتقدمون والمتأخرون اعتنوا بمراكش هذا الاعتناء واحتبلوا بها هذا الاحتبال فلكون مركزها الجغرافي جعلها في وسط المغرب بالنسبة لما كان تابعاً له من اراضي الصحراء الكبرى ولكونها ملتقى الجبل والسهل ومجتمع العرب والبربر حتى دعاها بعض اهلها خراسان المغرب نظراً لمن يقطنها من اجناس مختلفة وما يتكلم فيها من لهجات متعددة وجعلها موقعها سوقاً عاماً تقع فيه مبادلة التجارة بين العرب سكان الاراضي السهلية غرباً وشمالا كالرحامنة وحمير وعبدة والسراغنة وزمران ودكاله والشاوية وبين البرابر سكان الجبال شرقاً وجنوباً فالخارج من مراكش من باب اغمات مثلا لا تسمع اذناه الا اللغة البربرية من قبيلة مسفيوة شرقاً الى ما وراء الاطلس الكبير ومنها جنوباً الى اقاصي القطر السوسي واذا خرج الخارج من باب الخميس لا يجد اثراً للغة سوى اللغة العربية من قبيلة الرحامنة غرباً الى سواحل البحر المحيط ومنها شمالا الى اقاصي قبيلة الشاوية وباب الرباط وهذا هو ما كان يعبر عنه في الماضي بالحوز عاصمته هي مراكش مقابل القسم الثاني من المغرب المعبر عنه بالغرب وعاصمته فاس.

فالجهة الجبلية البربرية تجلب ما يختص بها الى الجهة السهلية من الزيوت والفواكه والاخشاب والجلود المدبوغة وسائر الاشياء التي لا يصلح انتاجها الا في المواضع المائية الباردة التي هي الجبال كما تصدر الجهة السهلية الى الجهة الجبلية ما يصلح انتاجه فيها من زروع وماشية وسمن وصوف وشبه ذلك ومن اراد الوقوف بدهشة على عظمة مراكش وما يصدر منها وما يرد اليها للمبادلة التجارية في اسواقها فما عليه الا ان يلازم حيناً بعد حين الاماكن التي تسافر منها سيارات النقل الى مختلف الجهات سهلا وجبلا ويرى بعين الاعتبار ساحة جامع الفنا وما يغشاه من البشر آناء الليل واطراف النهار .

والشيء الذي زاد في اهمية الحركة ورواج التجارة بمراكش هو اصلاح الطرق ونحت الجبال ونصب القناطر وسهر رجال الامن على اقراره وحفظه وقطع دابر النهب واللصوصية وايجاد الاماكن سواء بالمدينة أو بالطرق في البادية لتموين المسافرين وسياراتهم وحتى المبيت لمن اراده فأينما سار الانسان ليلاً أو نهاراً يجد قوافل السيارات ذاهبة آيبة دون وجل .

وبعد فاذا كان الكلام قد طال بالنسبة الى الصفحات التي ستشغلها هذه الكلمات فانه قد قصر جد القصر بالنسبة لما تتطلبه مدينة مراكش من ذكر الحوادث التاريخية والمنازعات بين الدول والملوك التي تعاقبت عليها وذكر من اقبر فيها من ملوك ووزراء وعلماء امثال القاضي عياض والامام القصار والامام السهيلي وامثالهم من المتقدمين والمتأخرين ومن درج على ارضها من ادباء وشعراء ومؤلفين ومن هاجر اليها وقطنها من عائلات من مختلف الجهات واسماء احوامها وعدد من يسكنها وبيان اصولهم واجناسهم وتعدد دورها ومرافقها وعادات سكانها في افراحهم واتراحهم واستيعاب كل ما من شأنه ان يفيد المتطلع الى اخبارها واستقصاء هذه الاشياء وتتبعها يحتاج الى مجلدات ضخمة واما هذا المقال القصير ان هو الا كلمات تذكارية ليس غير لمناسبة مرور تسعة قرون على تأسيس هذه المدينة .

أحمد بوستة

العلم قوة

يا رسول الله انا امة — زجها التضليل في اعمق هوة
ذلك الجهل الذي حاربته — لم يزل يظهر للشرق عتوة
قل لاتباعك صلوا وادرسوا — انما الدين هدى والعلم قوة

فرحات

ذكرى مراكش الحمراء

ما ذا تخط يراعة الشعراء   الوصف فوق بلاغة الفصحاء
ما ذا تخط وما يفيد بيانها   في منشا العظماء والامراء
في منشا المجد المؤثل والعلا   ومقر كل سيادة قعساء
ومكان كل شهامة وشجاعة   يوم الرهان ونجدة واباء
ومحط آمال البلاد ومصدر ا   لارا بكل نزاهة وصفاء
وادارة تدعو الجميع الى اتحا   د القوم فيما بينهم واخاء
لا يحمل القلم النزيه بها سوى   حي الشعور وأعظم النزهاء
واذا الادارة لم تجد اكفاءها   جاءت بكل مصيبة وبلاء

***

مراكش مهد النبوغ ومطلع الـ   ـعلماء والادباء والنبغاء
ومهارة في الفن تخلب من يرى   آثارها من مظهر وبناء
ومنارها الكتبيُّ أعظم شاهد   ان قيل أين مآثر الحمراء
هو آية في الفن بنبيِّ من أتى   عمن مضى – وكفى به للراء
اقرأ نبوغ الكون في تشييده   واحكم به في المجد للقدماء
وبها القصور الشامخات الى السما   وتكاد تلمس هامة الجوزاء
جمعت من التنميق والابداع ما   ينبيك عما كان للآباء
هذ «البديع[1]» المزدري بجماله   وجلاله ما كان في الزهراء
ولقد حوى من كل نوع آية   في الحسن حتى جل عن نظراء
في عهده الحمرا براية ربه   تزهو وتمشي مشية الخيلاء
خضعت له الدنيا ومهد بالقنا   ناهيك بالسودان في الصحراء
لله أيام البديع فكم لها   في ذكريات من يد بيضاء
كم قيل في ساحات مقصوراته   من خطبة وقصيدة عصماء
عبد العزيز[2] رئيسه وزعيمه   في الليلة النبوية اللألاء
ولئن محت أيدي النوائب حسنه   فله من التاريخ أيُّ بقاء

***

وبها البساتين التي احتفت بها   وكأنها لبست أرق ملاء
تمشي بها والشمس أين شعاعها   تحت الغصون وريفة الافياء
ومناظر جذابة يجري بها   في كل آونة لجين الماء

(١) قصر مولاي أحمد الذهبي السعدي المشهور بزخارفه وعظمته .
(٢) عبد العزيز القشتالي كاتب المنصور السعدي وشاعره الملحوظ .

تشدو بها اطيارها وتكاد من   تغريدها تسبي بحسن غناء
والنخل ينظر للوفود مرحباً   والبنز والصفصاف كالرقباء
ماشئت من حسن يروع ومنظر   في غيدها وحديقة غناء

***

لما بدت مراكش غطت على   اغمات[1] مأوى العلم والصلحاء
وغدت تحن لها وفود العلم في   أقصى النواحي من بني الغبراء
وحمت بأندلس ثغور الدين اذ   ضعفت عليها دولة الضعفاء
وفدت بقوم لا يطاق طعانهم   ففداؤها والله خير فداء
ما ضرها ان كان يوم عظيمة   فيها «ابن عباد» من الاسراء
الفضل في تأسيسها لموطد   هو في الحقيقة أعظم الزعماء
قد انجبته جزولة[2] وكفى به   فخراً فوطد دولة العظماء
وغدا مثالاً نادراً في خدمة الـ   ـدين الحنيف ودولة شماء
اخلاصه ويقينه وعزوفه   وجهاده وثباته ووفاء
مامات حتى أشرقت شمس الهدى   ولواء دولته أعز لواء
لله ما قاساه «عبد الله» من   أمر وما لاقاه من دهياء
وكانه لم يرضه توطيده   حتى يرى في زمرة الشهداء[3]
وهناك شمر يوسف[4] عن ساقه   وشفى غليله في الورى بدماء
حتى تبدى الملك من سوس الى   أرض «الفرنج» بطلعة غراء
لم يركب الاهواء في سفك الدما   لكن رأى الطغيان في الاعداء
واذا العدو طغى فحكم مرهفاً   واشف غليلك فيه في الهيجاء
ما العز الا في نجاد مهند   وبمتنه ان سل كل شفاء
وجحافل تدع الثرى يوم الوغى   خشن الجوانب حالك الارجاء

***

لما وهت «لمتونة» وتضعضعت   أركانها وتقاربت لفناء
جاءت بأدهى الناس سوس ولم تزل   تأتي بكل محنك مضاء
مهدي[5] بن تومرت المغادر ربعه   «اكلي[6]» فوافى مغرماً بعلاء
وأتى وقد نال المنى في قصده   بطموحه وبفكرة ودهاء
من بعد ما قد خاض طول الارض في الـ   ـدنيا وآب بعلمه الوضاء
سل عنه اعلام المشارق والمعا   هد حينما قد كان في الزوراء
ولقد أتى وعليٌّ[7] في تغفيله   وصلاحه والشعب في الظلماء

(١) كانت محل العلم الكثير والورع والصلاح
(٢) قاعدة سوس وفي جبالها بلد عبد الله بن ياسين الجزولي السوسي موطد الدولة اللمتونية .
(٣) وقد استشهد في الحرب .
(٤) يوسف بن تاشفين مؤسس مراكش .
(٥) مؤسس الدولة الموحدية . – (٦) محل برأس الوادي بناحية تارودنت في سوس .
(٧) علي بن يوسف بن تاشفين .

لما استقام الملك خلف من رءا — تبدو عليه سيمة الاكفاء
رب البراعة والمهند والحجا — ذا شهرة بلغت عنان سماء
المرتضى ابن علي[1] الذي اهتزت له — لما تملك دولة الحمراء
وبه غدت مراكش في عزة — وتزيد في الاصباح والامساء
وتصيد دولات الشعوب كما تشا — واذا تحاول فهي كالعنقاء
قضت القرون الماضيات بكل ما — يرضي العلا في سائر الانحاء
هي لم تزل ترجو وتنشد دائماً — ما أورث الآباء للابناء
والاطلس الجبار من حراسها — ومثالها في العز والعلياء
ولسوف تخدمها الشعوب كما مضى — وتقودها بأزمة الاراء
في ظل مولانا الامير محمد — فخر الملوك وأعظم الامراء

محمد البونعماني السوسي

(1) عبد المومن بن علي الكومي خليفة المهدي الموحدي .

العلم والدين

العلم والدين منجاة ومنبهة — والدين منفرداً ضرب من الكسل
خرافة واتكال لا محل له — والعلم منفرداً نوع من الخطل
طيش وزيغ والحاد وسفسفة — صارت بها الناس في البلدان كالهمل

محمد البيضاوي الشنجيطي

محمد حصار

ما أكثر الذين يموتون فلا يتزعج لموتهم خاطر ، وما اكثر الذين يفارقون هذه الحياة فلا تذهب النفس عليهم حسرات ولا تسيل لفقدهم شئون لانهم عاشوا لانفسهم خاصة لا للناس وذهبوا لمستقرهم الاخير كما تذهب الدواب والانعام لمرابطها وتروح الحشرات لأحجارها ، هؤلاء الذين يموتون فلم نشعر بفقدهم ولم نأبه لموتهم كانوا اشبه بأحجار الوادي لم ينتفع بحياتهم مجتمع ولا استفاد منهم موجود ، تحسبهم ايقاظاً وهم رقود ، فلا عجب اذا نسوا بعد موتهم وقد كانوا امواتا في حياتهم ، وانما الميت ميت الاحياء ، أما الذين حفلت ايامهم بالعمل ، وكانوا حركة دائمة لا تعرف الوقوف ولا الركود فلن يكون للموت عليهم سلطان ما دامت ذكراهم ماثلة واعمالهم خالدة ومآثرهم ظاهرة للعيان .

بالامس عقد الموت على لسان شاب من خيرة شباب المغرب العامل وامتدت يد المنون الى روح اخينا محمد حصار فانتزعتها من ذلك الجسد الذي غالب الموت حيناً وظل يعاني من الالم الممض والداء العياء زمناً الى ان سقط قبل أن يكتمل النضوج وذهب في الغابرين في وقت اشد ما نكون حاجة الى جرأته وصلابة رأيه وسمو افكاره فوجفت لموته القلوب وبكته العيون وترك بين القليلين من امثاله فراغاً أي فراغ .

مات حصار الذي كان بحق مثالا للنشاط الذهني والذكاء الخارق والجرأة المدهشة ، وليس من ينكر ما كان له من امثال هذه الصفات المتفردة التي كانت تملؤنا اعجاباً وتجعل له في قلوبنا مكانا ، ولست بحاجة لان اعدد مواقفه المشرفة التي عرف بها واشتهرت بين الناس وانما اذكر له خصائص حباه الله بها وكانت له ظاهرة قوية من قوة اخلاقه تلك هي صلابة في الحق وصراحة مع الناس وحماسة عاطفة وكثيراً ما كانت كل هذه اسباباً جرّت اليه خصومات كثيرة مع بعض اصدقائه فنفض يده منهم وعاد يعمل وحده حسب وجهته التي ارتآها وغادر من غادر ملاحس البقر اولادها وايضاً ادت به تلك الصلابة في الحق الى اعماق السجون وهو هو لا يتحلحل ولا يزول ، وقد كانت بيني وبينه صداقة متينة لا تصفها الاقلام ولا تتسع لها الصحف ولا يزال يمت الي وأمت اليه باخلاص كبير ومحبة قديمة الى ان افترقت الاجسام وحال بيني وبينه القدر وحجبه الموت فما رأيت منه الا الاخلاص والايمان وما عرفت فيه سوى النزاهة في القول والعمل والجهد المتواصل في البحث والكتابة والتنقيب حتى وهو يغالب ذلك المرض العضال لا يفتأ يقرأ ويكتب ويساعد هذه المجلة وغيرها بمقالاته وبحوثه غير مشفق على نفسه وغير عابىء بالالم الممض الذي ينخر قواه ويجره حثيثاً الى القبر ، يبتسم اليك ابتسامة الرضى ويجادلك في مواطن الجدال بصوت اخفته المرض فيشعرك انه عن قريب سيودع الوجود ويلفظ الحياة وهو نفسه كان يصرح من حين لآخر بدنو اجله الى ان فاضت روحه راضية مطمئنة .

وان افضل عزاء على ما نلقاه من الاسى والحزن على فقده ذلك الصفاء الذي استمر بيننا طيلة سنين فلم يعتره وهن ولا أصابته جفوة ولا قطيعة فرحمة الله عليه واسكنه دار المقامة والرضوان .

هذا هو الاخ الذي فقدناه بالامس تحز فقده في الاكباد وتفجرت عيون الطبقات المختلفة بالدمع الغزير

اسفاً وأسى وهو الذي كتب باعماله الخالدات سطراً في تاريخ العمل الوطني وترك للناس مثلا يحتذى في انكار الذات وسمو الهمة وبعد الرأي ولئن كانوا يصفونه بالتطرف في وجهته وحياته فما صدقوا ولو فسح الله له في العمر لكان له فوق ما رأينا اخلاصاً وجهاداً وتضحية ولكن لكل نبإٍ مستقر ولكل اجل كتاب .

فرحم الله فقيدنا وأجمل للامة فيه العزاء .

محمد بن عباس القباج

⁂

وشيعت جنازة الراحل الكريم يوم الاثنين سابع جمادى الاولى في محفل رهيب ، مشى فيه معظم أهل سلا ووفود الشباب من مختلف المدن وتلامذة المدرسة الاسلامية الحرة ، وقام على القبر الاخوان النبلاء سيدي عبد الرحمان حجي الاستاذ بمدرسة أبناء الاعيان وسيدي عمر بن عبد الجليل أحد رؤساء كتلة العمل الوطني وسيدي أحمد معنينو عضو جمعية المحافظة على القرآن فألقوا كلمات وداع واسى ، وكان الخطباء ينطقون عن ضمائر طاهرة فكان لكلامهم على السامعين الأثر العميق .

وهذا نص الخطب على الترتيب الذي ذكرناه :

رحمك الله ياسيد الشباب ومفخرة المخلصين ! وان في فقدك لثلمة لاتسد وخسارة لا تعوض لدى الوطنية الخالصة والايمان الثابت ، وانه لحق ان في موته خسارة على الشباب الناهض العامل لما اجتمعت فيه من خصال حميدة قلما يتأتى اجتماعها في غيره فما شئت من اخلاص وصدق وطهارة قلب وصفاء سريرة ومكارم اخلاق وقيام بالمهمات وصراحة في القول وجرأة واقدام في العمل .

والمرء ما دام حياً يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

فرحمة الله عليك أولاً وأخيراً وعوضنا عنك صبراً جميلاً .

⁂

ليس الموقف موقف خطابة ، ولكن لا أقل من أن يقوم أحد اخوان الفقيد في العمل الوطني وهم كثيرون ويودعه باسم «كتلة العمل الوطني» الوداع الاخير ، فمن غيرنا معشر الوطنيين يعرف محمد حصار مثلما نعرفه ويقدر مزاياه وسجاياه مثلما نقدرها ؟

قد استطاع اخونا محمد حصار أن يقوم باعمال جليلة في وقت قصير ولم يمنعه صغر سنه من التبريز في جميعها بما له من المواهب النادرة والاخلاص العظيم .

ومنذ عرفناه في ميدان العمل الوطني عرفنا فيه النشاط والحزم والعزم والصبر وقد كان من أهم مميزاته البحث والتنقيب عن كل المواد التي يمكن أن تنفع وتؤيد الحركة الوطنية فلا يفتأ يبحث عنها في الخزائن العامة وغيرها حتى اذا وجد ضالته قدمها لاخوانه لا ينتظر وراء سعيه جزاءً ولا شكوراً .

وقد كان الفقيد لا يستنكف من أي عمل يعود بالنفع على الحركة الوطينة ولا يانف من القيام بالاعمال الجلية كما يقوم بالاعمال البسيطة ، ولو أردنا أن نذكر بكل أعماله في الجهاد الوطني لطال بنا الوقت ، والمقام لا يقتضي الاسهاب في القول ، ولكن من الضروري أن نذكر بما قدمه الفقيد من الخدمات لجريدة «عمل الشعب» حيث كان يجمع الاشتراكات ويوزع الجريدة ويبيعها ويكتب فيها ، وامثال الفقيد قليلون في هذا الميدان ، اذ يغلب على العامل الذي يقوم باعمال عالية أن ينزل بنفسه الى غيرها ، أما أخونا حصار فكان يقوم بكل عمل اسند اليه دون ان يرى في القيام به تنقيصاً من قدره .

ان الفقيد الذي نبكيه كان من أول من تقدموا ضحية في سبيل محاربة الخمور في البلاد المغربية وموقفه اذ ذاك مع بعض مواطنينا السلاويين يحفظه التاريخ لهم ولا ينساه أبداً .

ان أخانا محمد حصار صودم مرات عديدة اثناء جهاده الوطني ، والصدمات كانت تتوالى عليه من كل ناحية ، فكان دائما يقابلها بصدر رحب وثبات كامل ، وكنا كلما رأيناه نرى على وجهه تلك الابتسامة العذبة «ابتسامة حصار» سواء في ايام الرخاء وايام الشدة .

وتلك الابتسامة التى هي رسم ثباته وصبره في الجهاد الوطني لم تفارقه أيضاً أثناء المرض العضال الذي أصابه منذ سنتين ولازمه الا ان قضى نحبه .

ان حياة محمد حصار مع قصرها كانت درساً للشباب المغربي درس اخلاص ونشاط وتضحية وصبر وثبات .

وقد اراد ان تكون موته درسا لذلك الشباب نفسه فأوصى قبل موته ان يكفن في الثياب الوطنية وان يدفن في مقابر عامة المسلمين، فتكفينه في الثياب الوطنية اخلاص منه لوطنه بعد موته، ودفنه في مقابر العامة اشعار لما تشتمل عليه نفسه من التنازل فهو يعتمد على عمله ليخلد ذكره، لا على شكل قبره، او مكان دفنه، فعسى ان يقتدي به الشباب المغربي ويستفيد من الدروس التي القاها عليه حياً وميتاً.

وفي هذا الموقف لا يسعني الا ان اتقدم باسم « كتلة العمل الوطني » لتعزية عائلة الفقيد ومواطنيه الكرام وكل اخوانه في ميدان العمل الوطني.

✲

السلام عليك ياحصار حياً وميتاً!

سادتي: ان فقد محمد حصار يعد أكبر خسارة في مدينتنا بل في المغرب اجمع.

محمد حصار الرجل العظيم المتصف بأحسن الصفات فما شئت من تواضع وشجاعة واقدام وتضحية، كل هذه الصفات امتاز بها حصار عن بقية اخوانه.

محمد حصار قدم لبلاده أعظم الخدمات وضحى بمجهوداته في سبيل امته وهو لا يزال لم يبلغ الثلاثين من عمره اعمال لم يقم بها من بلغ المائة سنة.

حصار، قطب دائرة أعمالنا ورئيس حركاتنا وسكناتنا بافكاره وشجاعته واقدامه ولسنا الا اتباعاً له و انصاراً، فلقد كان غيوراً ذا اخلاق لا توجد في غيره لا يبالي بمن شتمه أو ذكره بما يكره يقابل كل من أساء اليه بالصفح والعفو والتغاضي بل لايكتفي بذلك فيتقدم الى المسيء بأحسن المعاملات كانه ما أساء اليه قط.

حصار العظيم في حياته وافكاره وأعماله، هو حصار في موته وداخل رمسه.

حصار! ها هو ذا صديقك الذي خبرك وعاشرك في شدتك ورخائك يندبك ويرثيك ولكن ألست الزاهد في كل مظاهر الرفاهية والبذخ ألم تكن تكتفي باليسير في مأكلك ومشربك وملبسك لتحافظ على مبدئك الشريف وعظمتك؟

أيها الشباب والشيوخ ان حصاراً ترك لنا وهو في آخر نفس وصية اي وصية يجب أن نتخذها دستوراً يتبع ومثالا يحتذى، أوصى أن تذهب جنازته صامتة اقتداء بما فعله نبينا عليه السلام وسلف هذه الامة وهي فكرة المصلحين من علماء الدين اذ بالسكوت تحصل العبرة والذكرى بما يؤول اليه الميت، وأوصى أن يكفن في ثياب نسجتها يد مغربية وصندوق نبت خشبه بتراب مغربي وهذا ما يفكر فيه الاقتصاديون لخير المغرب وبنيه، وأوصى أن يدفن بمقابر العامة وذلك أعظم مبدا الديموقراطية أو الانسانية.

فحصار لم يكن يتطلب المظاهر الفارغة في حياته فكذلك لم يتطلبها في مماته بل كان يحب العمل الدائم في تواضع وفيه أفنى عمره فهو من الذين قال الله فيهم: « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » الآية وها هو قد قضى نحبه وافيا بعهده فهنيئاً له هنيئاً.

نم في جوار الله مع الانبياء والصالحين من هذه الامة وتنعم في رياض الجنة التي أعدت للمخلصين.

فلقد أديت واجبك حياً وميتاً، فرحمة الله تعمك وتشملك، أمنوا على دعائي أيها السادة! اللهم ارحم فقيدنا وتقبله قبولا حسناً وتجاوز عن سيآته، اللهم ثبتنا على مبدئه واخلاصه حتى نلقاك، والسلام عليك ياحصار حياً وميتاً.

نــداء

الى كل كريم في العالم العربي والاسلامي

تواجه فلسطين العربية في هذه الآونة أحداثاً خطيرة اخذت تجر وراءها نكبات ومآسي فجيعة على الشعب العربي الابي فيها الذي ضرب المثل الاعلى في التضحية والتعلق ببلاده وميراثه الخالد، والذي ظل حارساً أميناً لهذه البلاد المقدسة .

ولقد وقع بسبب هذه الاحداث الخطيرة في يافا وغيرها من البلاد الفلسطينيه المجاهدة اعتداآت همجية ازهقت فيها أرواح عربية بريئة وسقط فيها كثيرون من الشهداء والجرحى في ميدان الكرامة والدفاع عن النفس والاهل، ورملت نساء ويتمت اطفال وحرقت منازل وشردت عوائل واعتزمت الامة القيام باضراب شامل متواصل الى ان ينتهي عهد هذا الشقاء الذي وصل الى حد لايطاق واصبح عدد كبير من العرب والمسلمين في حاجة قصوى الى المعونة المادية والمواساة في هذه النكبة الكبرى الجديدة .

ولما كان القيام بهذا الواجب لا يتم الا بالتعاون والتعاضد، فان اللجنة المركزية للاعانات التي تألفت في القدس قررت اذاعة هذا النداء على كل كريم في العالم العربي والاسلامي تستندي به اكف أهل المروءة والشهامة، مؤملة أكبر الامل في ان يقابل منهم بالعطف والتلبية وان يجعلهم يبادرون الى القيام بواجب محتوم تجاه هذه البلاد المقدسة واهلها المجاهدين في مثل المحنة القاسية والغمرة الشديدة التي هم فيها .

والله سبحانه وتعالى المسئول أن يتولانا جميعاً بعين عنايته وتوفيقه وأن يدفع عن بلادنا العزيزة الخطوب النازلة والكوارث المتلاحقة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

رئيس اللجنة المركزية لاعانات المنكوبين

محمد أمين الحسيني

ويمكن ارسال الاعانات باسم اللجنة الى البنك العربي في القدس وفروعه .

واعانة فلسطين واجب انساني، وديني، وجنسي .

الصنائع في مراكش

ذكر صاحب الذيل على المعجم لياقوت الحموي عن مراكش وبعد ان ذكر أشجارها ومزارعها ومعادنها النفيسة وكنوزها الثمينة ذكر أن لاهلها مهارة في دبغ الجلود وعمل السختيان المراكشي الشهير وصناعة النقش والطرابيش المغربية ونسج البطانيات الشهيرة المرغوب فيها في اكثر البلاد ثم بعد أن ذكر مؤتمر الجزيرة والتقسيمات التي وقعت فيه ذكر مدن الغرب على التفصيل وقال في ص ٣١٨ من الجزء العاشر بحسب المعجم ومدينة مراكش وعدد أهلها نحو أربعين الفاً [1] وبها يصنع الصلصال المطلى والزرابي الرفيعة والنقش فوق الاخشاب والمنسوجات الحريرية الدقيقة ويصنع بها ايضاً السختيان الاصغر الجيد والمصنوعات الحديدية وبها عدة مدارس صناعية هذا ما ذكره صاحب الذيل . اه.

ويلحق بذلك مصنوعات اخرى كانواع الخزف التي كانت اذ ذاك تصنع بمراكش ولا تزال حتى الآن وقد برع فيها اصحابها في هذا العهد براعة تامة تلفت نظر السواح بوجه خاص وقد تفننوا في أوضاعها وتشكيل قطعها تشكيلاً يوازي ما تخرجه المعامل الغربية في الأكواب الزجاجية والمعدنية . اه .

وكانت كذلك مصانع للسكر في مراكش في العهد السعدي سيما عهد المنصور فقد كانت اربع معاصر للسكر في مراكش كما ذكر صاحب النزهة وكانت تخرج كمية كبيرة حتى كان المنصور يصدره لاروبة في مقابل ما يستورده من الرخام أيام بناء قصره البديع .

كما كانت كذلك مصانع للبارود في مراكش يستخرج منها انواعه المتعارفة في ذلك العهد حتى اشتهرت فيه محلات صنعه بدور البارود وقد تضخم ذلك في عهد الدولة العلوية أبقى الله ملكها ولا تزال آثار بعض المصانع شاخصة للعيون في اطراف الحمراء .

أما أنواع نسج الاصواف الرقيقة المقلمة بالحرير فقد اتفردت مصانع مراكش باجادتها اجادة لا يماثلها غيرها في نسج الاصواف في العالم لما في بهجتها من منظر لطيف وصناعة دقيقة شفافة كانها استخرجت في أكبر المصانع .

(١) قوله نحو الاربعين اما اليوم فسكانها نحو ٢٢٥ الف نسمة .

ومما يؤثر عن كثير من المخضرمين بين عهد الاستقلال وعهد الحماية أنه كان بمراكش بباب أغمات مصانع لاستخراج الزليج سواء القطع الكبيرة أو الصغيرة وقد كانت العناية موجهة الى تلوينه بالاخضر ثم ولعوا بتشكيله وقد اعتنى بها المراكشيون في عهد الطاغية الكبير المعروف ، بالوزير أحمد ، أو با احمد ، كما تقول العامة ، في عهد المولى عبد العزيز حيث اوجد مصانع كثيرة كافية لاستخراج القدر الكافي بمراكش تحت رئاسة أبي غالم وأراد بذلك مضاربة الزليج الفاسي وفعلا نجح في مهمته فاستطاع بسلطته الحديدية أن يحول الانظار عن زليج فاس وأن تستخرج مراكش منتوجاً يضارع منتوج فاس في تلك الصناعة وقد استعمله في قصوره المشيدة بمراكش وبذلك يكون قد أحيا صناعة قد عرفتها مراكش في عصورها القديمة .

وقد برعت المصانع الحديدية في استخراج المنتوجات النجارية على اشكال كانت معروفة بالاندلس سيما تلك المسامير الضخمة المنقوشة التي تحلى بزينتها أبواب البيوت الخارجية فتكسى بها النجارة رونقاً بديعاً زيادة على ما لها من التفوق الصناعي في زخرفة الاخشاب .

كما تفوقت في مراكش صناعة سبك الذهب والحلي الفضي المرصع بانواع الاحجار الثمينة والمنقوش نقشاً جوهرياً وقد تشرب قوشه بالوان على اختلاف انواع المصنوع غير أن هذه الحرفة جل من يتناولها اليهود وقد أجادوا في ترصيع التيجان النسائية أما عن الاسورة والتنوع في زخرفتها فذلك من البراعة بالمكانة وقد ازدهرت هذه الصناعة أيام المنصور السعدي حيث اعدت مواطن حول القصر للسبك وقد كانت دور السكة تضرب فيها النقود الفضية والذهبية الى العهد الاخير فصارت تضرب في الخارج .

ذكر صاحب التقويم السنوي للمدارس المصرية حول صناعة مراكش انها تصنع بها الاسلحة الصالحة للاستعمال في العصور الوسطى من حرب وسنك ونصل وقد استطاعوا أن يوجدوا نوعاً من البنادق القديمة ذات الزند الناري الذي يقرع خارج البندقية بحيث لو بقيت تلك الصنائع تساير الظروف من ذلك العهد لكانت مراكش في صفوف الدول الاولى .

ومن الصنائع الكثيرة المنتشرة في هذا العهد الصناعات الجلدية من حقب للنساء ومحافظ للرجال وجزم واحذية للرجال والنساء وكراسي جلدية مزخرفة بماء الذهب ومطروزة بأسلاك ذهبية وفضية وكذلك ارائك ومتكآت على اختلاف صنوفها من أحسن الجلود وارق الصناعة وأبرع الانتاج وكذلك محافظ الاوراق الكبيرة ـ الدوسيات ـ وكذلك الاحذية على اختلاف انواعها والشكاير المغربية التي تفننوا في الانتقال بها من شكلها الاول الذي وضع للنقود الفضية وتلطفوا في صيرورتها صالحة للاوراق ذات اقسام متنوعة قد وشيت حواشيها بنقوش حريرية رقيقة الصنع عجيبة المنظر وقد برعوا قديماً في تجليد الكتب على الطريقة العتيقة بأحسن السختيان المموه بالذهب مما يستحسنه الشرقيون ويعدونه أثراً يلمحون فيه الصناعة العتيقة ولا يزال على عتاقته حتى الآن .

أما ما تستخرجه من البلغة فهو واف بما تحتاجه الارجل الحافية كاف لصنع اقفية المعاندين من ذوي السخافات العقلية اتقاناً وكثرة ...

وقد ولع النساء في هذا العهد بانواع الطرز خصوصا فيما يرجع للامور الجلدية فان جل ما يطرز فيها يشتغل فيه النساء وهن الآن يقمن بالقدر الكافي من صناعة السفائف والقيطان الذي

تستعمله المغاربة في جل ملابسهم الى أن طغى على هذه الصناعة سيل الواردات الغربية فاضعف من مركزها حيث اصبح لا يستعملها الا القليل ممن يميل للجودة في ملبوسه.

وهناك صناعة اخرى ترقت في مراكش وهي صناعة النحاس الاحمر والاصفر فان العملة استطاعوا بمهارتهم ان يبرزوها في ثوبها القشيب ومنظرها البديع حتى كاد يستغنى بها عن الاواني المعدنية التي ترد من اروبا وقد تكاثرت وتفنن فيها الصناع تفنناً غريباً وفي كل سنة تخطو خطوات شاسعة.

وكذلك صناعة التقطير فقد عني بها كثيراً حتى كادت تكون حرفة لطائفة يشتغلون بها من انواع الورود والرياحين.

وكذلك صناعة الادوات الكتابية من اقلام ومداد حتى أن كثيراً من العدول الآن لا يستعملون الا المداد المراكشي وجلهم يعرف المواد التحضيرية لانجازه وهي حرفة يعرفها جل الطلبة.

وأيضاً اشغال الحصر فانها جادة في سيرها حتى أن بعض الحصر المقامة تغني عن استعمال الحصر السلاوية المشهورة بجودتها.

م٠ع٠

بقية «احصاء عام لمعاهد التعليم بمصر»

وفي سنة ٩٧٠ بعد الميلاد انشأ جوهر القائد الجامعة الازهرية وما لبث حتى امه طلاب الشرق من انحائه المختلفة يتلقون فيه العلم وظل زاهراً عدة قرون حتى ادركه الوهن ابان القرن الخامس عشر الميلادي، ثم ادركته الحكومات المصرية الحديثة فعنيت به وأسست كثيراً من المعاهد على مثاله تجمعها كلها ادارة عالية موحدة، ثم نظمت الحكومة المدارس والكتاتيب الملحقة بالجوامع والاضرحة.

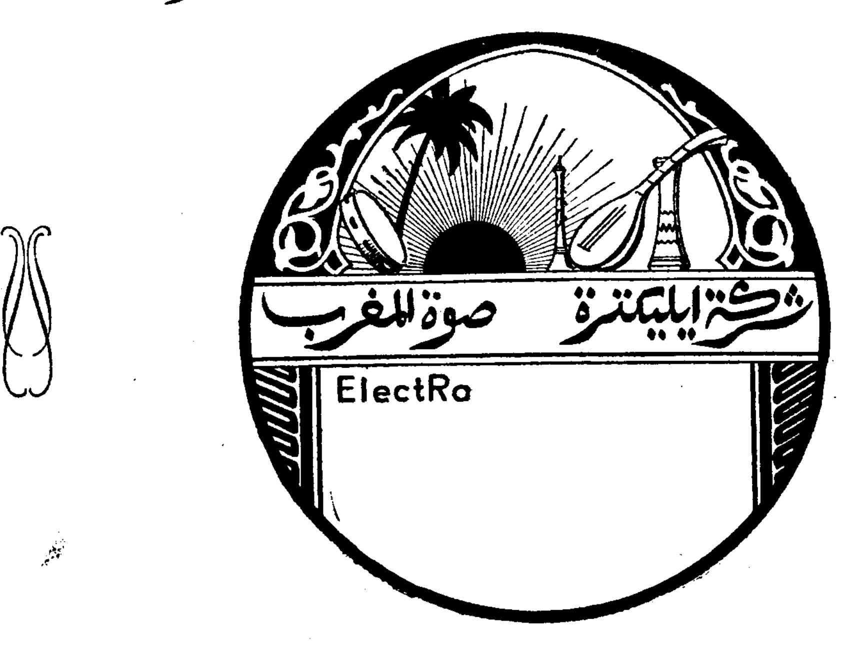
أما نظام التعليم الحديث فقد ادخله محمد علي باشا رأس الاسرة المالكة في سنة ١٨١٥، وقد اضطرت حالة البلاد وتمشيها مع النهضات العالمية المختلطة وتتبعها حالة التطور الاروبي الى العناية بالمعاهد والمدارس التي تخرج الطائفة المتربية الناضجة التي تصلح لتسيير دقة امور البلاد، فأوفدت البعوث من فتية المماليك والمصريين الى اروبا واسست المدارس الابتدائية والعالية والخاصة وانشئت مدارس الطب والطب البيطري والحربية والبحرية وغيرها للنظام الاداري والزراعي والبعثات والفنون والصناعات، وكل ذلك في مدة لا تزيد على عشرين عاماً.

«يتبع»

« صـــوت المغرب »

يعرض اسطوانات مغربية جديدة متنوعة





المعلم ميركو وجماعته

في اسطواناته الجديدة — موسيقى اندلسية

٢٠٢٧ موال حجازي اذا ما دعوت
٢٠٣١ موال مزموم يا حسنه
٢٠٣٣ برول سيف الحروف

الرئيس عبد الله

في قصائده الجديدة

٣٠٤٣ قصيدة أعضار
٣٠٤٥ قصيدة الهيمة
٣٠٤٧ قصيدة ايداوْ سحلال

الشيخة هشومة الملالية

٤٠٤١ عيطة الغدار وولده
٤٠٤٣ سيدي محمد
٤٠٤٥ خيل المرابة
٤٠٤٧ عيطة عويشية

توجد هذه الاسطوانات عند سائر باعة « صوت المغرب »

عن قريب

كل اسطوانات « صوت سيدو » الجديدة المصرية
تباع في دكاكين « صوت المغرب » بأثمان في متناول الجميع
نادرة — ام كلثوم — نينه وماري



« صوت سيدو »

Imp. Nouvelle - Rue de la Mamounia - Rabat - Le Gérant : Boubker ZNEBAR المطبعة الجديدة ـ نهج المأمونية ـ الرباط ـ وكيل المجلة : أبو بكر زنيبر